قافلة الزيت

ذو القعدة ١٣٨٧
يناير - فبراير ١٩٦٨



على عتبة الأصالة

يتساءل الكاتب أحيانا عن السبب الذي يجعله يمسك بالقلم ليكتب كلمة أو ينشىء مقالا . ولا يلبث أن يلي هذا تساؤل عن سبب اختيار موضوع معين دون سواه في وقت معين .

ويجيب البعض بشكل لا يفي السؤال حقه فيقولون : لنفس السبب الذي يدفع النجار لأن يقوم بتحويل قطعة من الخشب الى كرسي أو منضدة ، ولنفس السبب الذي يقوم البناء من أجله بتحويل الحجارة والاسمنت الى مبان نلوذ فيها من غائلة البرد ولهيب الحر .

ولا يخلو هذا الجواب من الصدق في كثير من الأحيان ، وخاصة عندما ينتج الكاتب قياما بواجب تفرضه عليه ظروفه المعيشية . ومثل هذا الانتاج يفتقر غالبا وبشكل واضح الى عناصر الابداع الفني والى العاطفة الصادقة والخيال الخصب . وهذا لا يعني خلوه من فائدة مثل الكرسي الذي يصنعه النجار ، والمبنى الذي يقوم البناء بجمع لبناته ورفع عمده .

وقد يأتي الجواب على تساؤل الكاتب مقرونا بشيء من الأنانية وحب الظهور ، كأن يكون عند الشروع في عمله مدفوعا برغبة ملحّة في أن يكتسب شهرة في ميادين الفكر والأدب فتفوح من اسمه رائحة حبر المطابع وتنهال عليه رسائل المعجبين من كل حدب وصوب .

ويرى النقاد أن الانتاج الأدبي في مثل هذه الحالة يكون خاليا من الحياة ، تبدو الصنعة متفشية في مختلف أجزائه ، ويندر أن يكتسب شهرة فعلية . وان تحققت له شهرة ظاهرية فلا بد وان تكون ذات مدى قصير في طريق البقاء .

والاصالة الفنية لا تسلم زمامها الا للفنان الذي ينتج استجابة لرغبة جامحة تناديه من أعماق نفسه ، وتهيب به أن ينتج ليعبر عن مشاعره وأفكاره وفنه بصدق ليقدم للملأ شيئا جديدا . هذا الدافع الداخلي هو الذي يفرق بين النجار العادي الذي يصنع كرسيا وبين الفنان الذي يحوّل قطعة الخشب الى تحفة فنية ذات أصالة ونصيب من الجمال والبقاء . وهذا الدافع نفسه اذا وجد هو الذي يجعل من الكاتب فنانا صادقا مبتكرا ، وبفقدانه يعود الكاتب نفسه الى الصناعة فينتج عملا عاديا باهت الألوان خافت الأنوار .

ولمثل هذا السبب نجد لدى قراءتنا سير الكتاب والفنانين المبرزين انهم كانوا يعملون في ساعات أعمالا رائعة ويعجزون في ساعات غيرها عن أي انتاج قيّم .

وهكذا ، فاذا أراد الكاتب أو الفنان أن يعرف مدى نجاحه في الوصول بفنه الى المستوى المرجو من الاصالة والصدق عليه أن يتساءل « لماذا أكتب أو أنتج ؟ » ولا شك أن نصيبه من النجاح سيكون في مدى صدقه مع نفسه عند الاجابه على هذا السؤال .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

العدد الحادي عشر — المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن: شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها: سيف الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران . المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

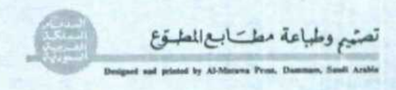
في هذا العدد

الصفحة

صورة الغلاف

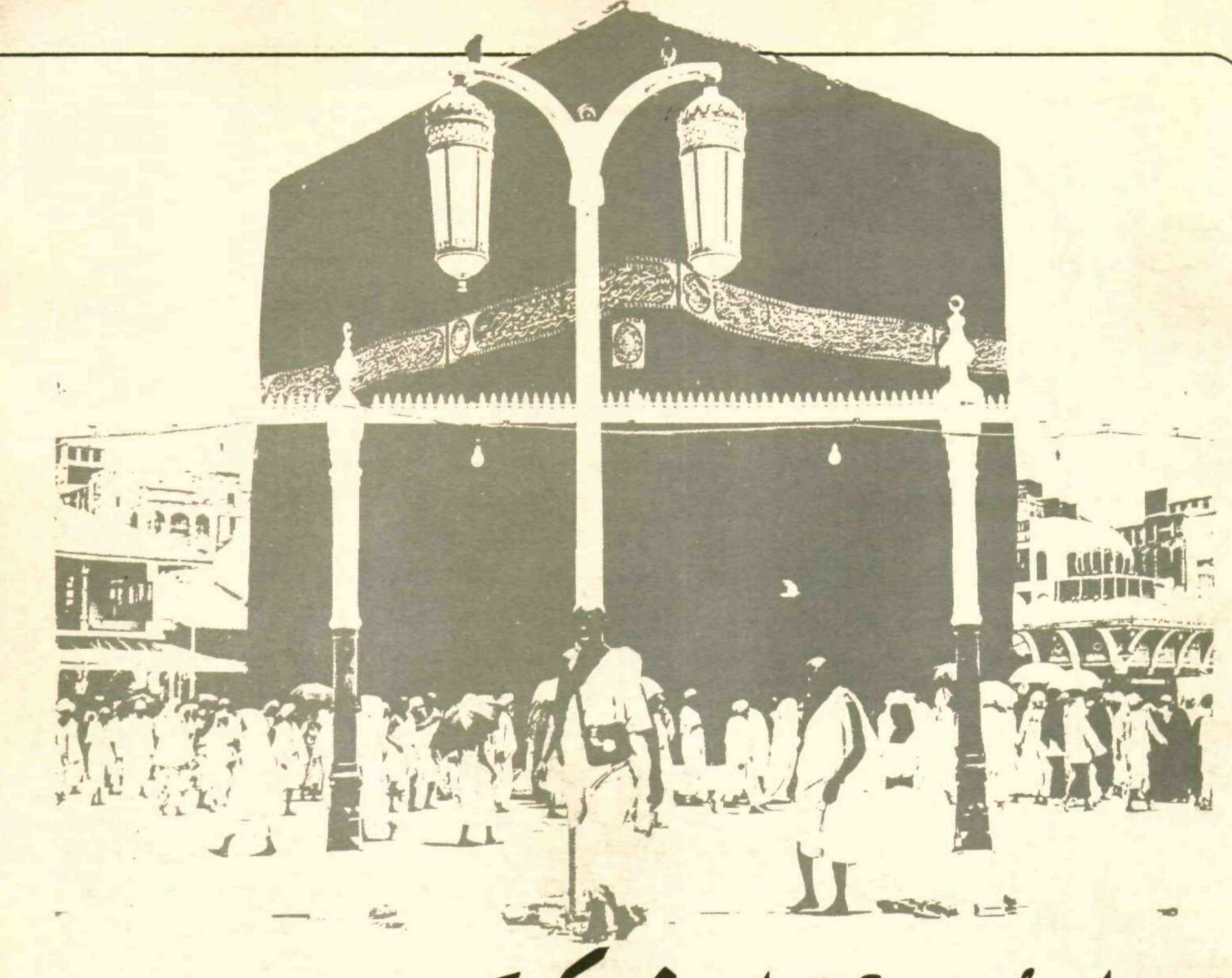
كسوة الكعبة المشرفة تصنع في مكة المكرمة . (راجع المقال في هذا العدد)

تصوير : عبد اللطيف يوسف



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia



مشاهد من تاريخ مكة (٢)

بقلم الاستاذ احمد السباعي

أتسألنـــي ؟؟

أنا على استعداد لأن أرسم لك مكة القديمة في عهدها الجاهلي ، يـــوم كانت عاصمة قريش . سأرسمها لك على لوحة ما تشاهد اليوم من معالمها الجديدة . فهل تبيح لخيالك أن ينطلق ، الى أبعد ما يتسع لـه الخيال .

أترى موقفنا ..؟ اننا في ظل باب بني شيبة . وأحسبك تعرف أنه «شيبة بن عثمان» . لم يكن بابا بالمعنى الذي نشهده اليوم ، بل كان ممرا الى صحن الكعبة بين البيوت ، الى جانب ممرات غيره جعلوها تتخلل بيوتهم كمداخل الى الصحن . ولكنه كان موضع ارتكاز الحركة العمرانية في مكة ، وكان مفروضا على الحاج في جاهليتهم أن لا يصافح الكعبة يوم قدومه الا من هذا الباب .

أتراك تشهد هذا الزحام المتلاطم على حفافي المدخل ..؟ انهم حجاج من الغساسنة ، قضوا مناسكهم ، وأوفوا نذورهم ، واطوفوا بالبيت العتيق . وها هم يأخذون طريقهم بين ملتويات الأزقة حول باب بني شيبة ، حيث تقوم بيوت لمجاورين من غساسنة الشام .

أتمضي بنا خلفهم في هذا الزقاق الضيق ..؟ انه ينتهي بنا الى نهاية الحلة التي يسكنها الغساسنة . واذا شئت فادرج بنا يسارا ، فثمت بعض بيوت للسفيانيين تتخللها متاجر لبعض العطارين ، يعرضون فيها أصنافا من الحبوب وأنواعا من العطارة وأشكالا من الفواكه المجففة ... لا . لا تذكر الشاي أو السكر ، فتلك أسماء لا تعرفهـــا قواميسهم .. لا . ولا الدخان ، فقد يتهمون عقلك بما لا يرضيك .

ودع الزقاق يلتوي بك لتصافح بيت العباس ، ودورا لجبير بن مطعم ، ودورا لآل عدي من ثقيف .

وان شئت فيما نسميه اليوم شارع القشاشية ، فهناك سوق الفاكهة ، نتحدر منه الى سوق الرطب ، ليواجهنا دار مال الله . وأحسبك لا تجهل أن مال الله في الدار وقف على مواساة المرضى واطعامهم ، وان ثمت طبيب وكاهن يعاينان المريض ، ليرسله أحدهما الى سوق العطارين ، أو يحيله الآخر الى تميمة يشتريها من سادن الصنم في ظل زمزم .

ودعنا نقطع المساحة أمامنا ، لنسير في شعب ابن يوسف ، ونسميه اليوم شعب علي . هذه دور عبد المطلب بن هاشم ، حيث ولد سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه في أقرب دار منها تشرف اليوم على الشارع العام . وتلك دور لأبي طالب ، تواجهها دور للعباس ابن عبد المطلب ، وأخرى لبعض أولاد هاشم .

ولعله لا يعجبك أن تتخلل الأزقة الضيقة الملتوية بالتواء الجادة بين تلال الشعب وهضابه . لنستقم اذن باستقامة الشارع . هذا شعب بني عامر ، يصافحك في مدخله دار العاص . واذا رأيت أن لا تتغلغل في دروبه فحسبك أن تعرف أن ثمة منازل لبني بكر ، وأخرى لبني عبد مناف . فامض بنا في استقامتنا الى المعلاة .. تريث في خطوك قبل أن تمشي . فهذا موقف الحمارين يكرون حميرهم للمتنزهين وقصاد الفسحة بين بساتين الخرمانية ، وشعب الصفى ، وأخياف منى ، ومزارع وادي طوى ، والزاهر . وامض خطوة لتشاهد سوق الجزارين على يمينك في شعب أبي دب ، وشعب أبي دب يتصل بأطراف شعب بني عامر من جهة المقابر حول ما نسميه اليوم « برحة الرشيدي » .

واذا شئت أن تترك الطريق يمضي بنا قدما ، فليس أمامنا الا الحجون الجاهلي على يمين الطريق ، أو ثنية المدنيين في يساره ، ونسميها اليوم ربع الحجون اعتباطا . وليس أمامنا اليهما الا بساتين كانت تسقيها بعض الآبار ، ثم بساتين تنتهي بشعب الصفى ، وهو ما نسميه اليوم حي المعابدة ، ثم بساتين تعرج بمعارج الطريق ، أو تستوي باستوائه الى خيف منى .

فما يمنعنا أن نختصر الطريق ، ونحن في المعلاة . دعنا نذهب الى اليسار فيما كنا نسميه « الحلقة » . هذه بساتين ابن الزبير يتخللها هذا الدرب الضيق ، ليسلمنا الى الفلق الذي فلقه ابن الزبير وعبده للمشاة .

أأرهقك التصعيد في مرتفعات ابن الزبير ..؟ لقد هان الأمر ، فامض بنا نهبط الى قرارة المدحى . هذا جبل الديلم يشرف علينا ، ونحن نمر في دروب متشابكة بين بيوت لبني غزوان وأخرى لأولاد الحارث بن عبد المطلب وبعض بني شمس .

أهالتك الضوضاء الصاعدة من مهابط القرارة..؟ لا عليك فهؤلاء صبيان من قريش يلعبون المدحى ، وهو نوع يشبه « البرجو » عندنا .

هلم فهذا الطريق أمامك يسلمنا الى الجودرية ، وهي من أرباض مكة ينزلها فقراء الاعراب من حجاج الكعبة ، فتزدحم بها خيامهم .

دعنا نتخلل الخيام الى سوق الغنم ، فردهة المجزرة ، فزقاق المدعاة . وستجد في سوق الغنم أثر المكان الذي قيل ان النبي صلوات الله عليه اقتعده في احدى روحاته من أعالي مكة . وستشهد أثر المكان على يسارك قبيل المدعاة ، وقد أحيط ببعض الحجارة ، واتخذه الناس اليوم مسجدا .

وبعد ، فهذه دور لأولاد الحارث وبعض أولاد العباس وقوم من خزاعة تنتهي بنا الى ما نسميه اليوم المحناطة ، وهي ساحة واسعة كانت تحط فيها عير الحنطة والسمن والعسل ، وتطل عليها دار أبي سفيان ، التي أعلن النبي حرمتها يوم الفتح ، وقد نادى : « من دخل دار أبي سفيان كان آمنا » .

ولنمش منحدرين الى المروة . هذه دور لآل عتبة وأخرى لآل ياسر ، وهذه حوانيت الحجامين على خطوة منها .

أيروقك بعد هذا أن تعرج بمعارج الطريق الى ما نسميه الشامية ..؟ هناك دور لآل زرارة من تميم ودور لآل الخطاب بن نفيل ، تسلك بينهما دربا الى سوق الحذائين ، ثم تنحدر في زقاق لبني خزاعة يسلمنا الى دار لبيت المال وآخر لخزانة الكعبة وآخر لشيبة بن عثمان وآخر لآل الزبير ، لنصافح بعده دار الندوة ، التي بناها « قصي » كمجلس لنواب الأمة يتبادلون فيها الرأي والمشورة .

ولكن ما لنا تركنا المسعى دون أن نتتبع تخطيطها الى الصفا . لقد كدت تنسيني هذا الدرب الى يسارك ، فامض بنا . هذه دور لبني عدي تفضي بنا الى الحزامية ، فسوق اللبانين ، فساحة لبني سهم ، فدور لأولاد الحكم بن حزام ، بينها سقيفة يفترش ظلها بعض صغار الباعة ، ويلتوي في صدرها زقاق ينتهي عند الجدار الخلفي لدار أبي سفيان ، حيث تقوم دار لخديجة بنت خويلد ، كان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم عندما بنى بخديجة ، وفيه ولدت ابنته فاطمة .

وتعال نستأنف عودتنا الى المسعى ، لنأخذ طريقنا الى الصفا . هذه منازل لأولاد عدي ابن كعب تنتهي الى ساحة الخطاب ، وهي ساحة

ورثها عمر ، فتركها لصغار الباعة يحتلون أطرافها ببضائعهم ، فاستغل الباعة عطفه ، وراحوا يبنون لبضائعهم ظللا تقيهم الشمس . فثبتت الظلل وضاعت معالم الساحة . فعجز الورثة عن اثبات حقهم فيهـا . وهذه الساحة تفضي الى دار العباس ، فسقيفة لبني عائذة تنتهي بنا الى الصفا ، ثم تعرج بنا في الطريق الى فوهة أجياد ، لنمر بسوق البزازين ونصافح بجواره البيت الذي اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم مكانا لتجارته شريكا مع السايب بن السايب قبل البعثة .

نحن الآن على فوهة أجياد . فاذا شق عليك أن تمعن في مسالكه الطويلة ، فحسبك أن تعلم انه أجيادان ، أجياد الكبير ، وينتهي الى ما نسميه اليوم «بئر بليله» ، وكان ينزله ابتداء من رواق المسجد اليوم قوم من بني تميم ، كانت بيوتهم تمتد أمام أجياد الى صحن المسجد . فاذا صعدت بعد بيوت بني تميم متجها الى مداخل أجياد اليوم ، واجهتك دور لبني مخزوم ، ثم دور لجماعة من الأزد حول موقع دار الصحة اليوم . وعلى غير بعد من ذلك كان منزل أبي جهل ابن هشام ، ثم بيوت من الشعر كان ينزلها بعض الرعاة من البدو الطارئين ، انتجاعا للكلأ مـن مخارف الجبال الى الصافح .

وأجياد الصغير وينتهي الى مواقع السد اليوم ، وينزله بعض آل عدي بن عبد شمس وتنتهي بيوتهم الى سقيفة كانت للحواتين ، ثم دار لعبد الله بن جدعان ، التي تم فيها حلف الفضول بأن لا يقر في مكة ظالم ، ثم دور لآل سلمة ابن هشام ، والى جوارها بئر كانت تتشابك عندها الأزقة التي تتصل بأجيادين ، احتفرها آل سلمه مع جماعة من جيرانهم ، وكان يردها السكان من أجيادين . ولا أعتقد ان الخبت بعد دور آل سلمة كان مأهولا ، الا أن كان بعض الرحل يخيمون في بعض شعابه اذا هبطوا مكة .

واذا كنا أطلنا الوقوف على فوهة أجياد في نظرتنا العامة الى منازل القبائل فيه ، فقد آن لنا أن نستأنف سيرنا مع استقامة الجادة في طريقنا الى المسفلة . هذا سوق الحزورة على غير بعيد مما نسميه اليوم السوق الصغير ، وهو من أوسع أسواق مكة . أتشهد هذا الزحام بالمناكب والاقدام رغم امتداد السوق وسعته ..؟ انه معرض للبدالين والبقالين والعطاريـن والدباغين وصناع الآلات الزراعية .

وهذه العطفة الصاخبة على يمينك ، أتدري ما شأنها ..؟ انها منتجع الحجاج يبتاعون منها هداياهم من الأصنام تبركا من مكة ، يحملونها الى بيوتهم وبيوت أصفيائهم لتأخذ مكانها من صدور مجالسهم ، فتتقبل دعواتهم السخيفة وابتهالاتهم المضحكة .. فهلم بعيدا عن هذه الترهات .

هذه دور لبطن مـن آل صفي ودور لآل عبد الدار ، وهذا درب الحناطين يلتوي أمامك بالتواء الجادة الى ما نسميه « الشبيكة » . انه سوق لباعة الحنطة من منتجات مزارع الحنطة في جنوب مكة ومستوردات اليمن ، البلد السعيد . هيا لنمض .

لا تتيامن كثيراً الى ما نسميه الشبيكة ، فثمت قفر لم ينزله أحد الا في قرون متأخرة . لنمض اذن في جادتنا المستقيمة الى المسفلة ، ولا تنس — قبل أن تخطو — هذه المنازل المشرفة على نهاية سوق الحزورة ، فهي لجماعة من بني مخزوم . وهذه دور لبني أسد بن عبد العزي ، وتلك منازل على سفح ذي أعاصير ، ينزلها بعض فقراء البدو من قبائل متفرقة ، وبعضـ من أحابيش قريش . ولعل بعض القرائن تدل على أن « ذا أعاصير » هو ما نسميه اليوم جبل عمر ، ولا أؤكد لك مصدر التسمية ، فليس فيما قرأت ما يثبت شيئا معينا .

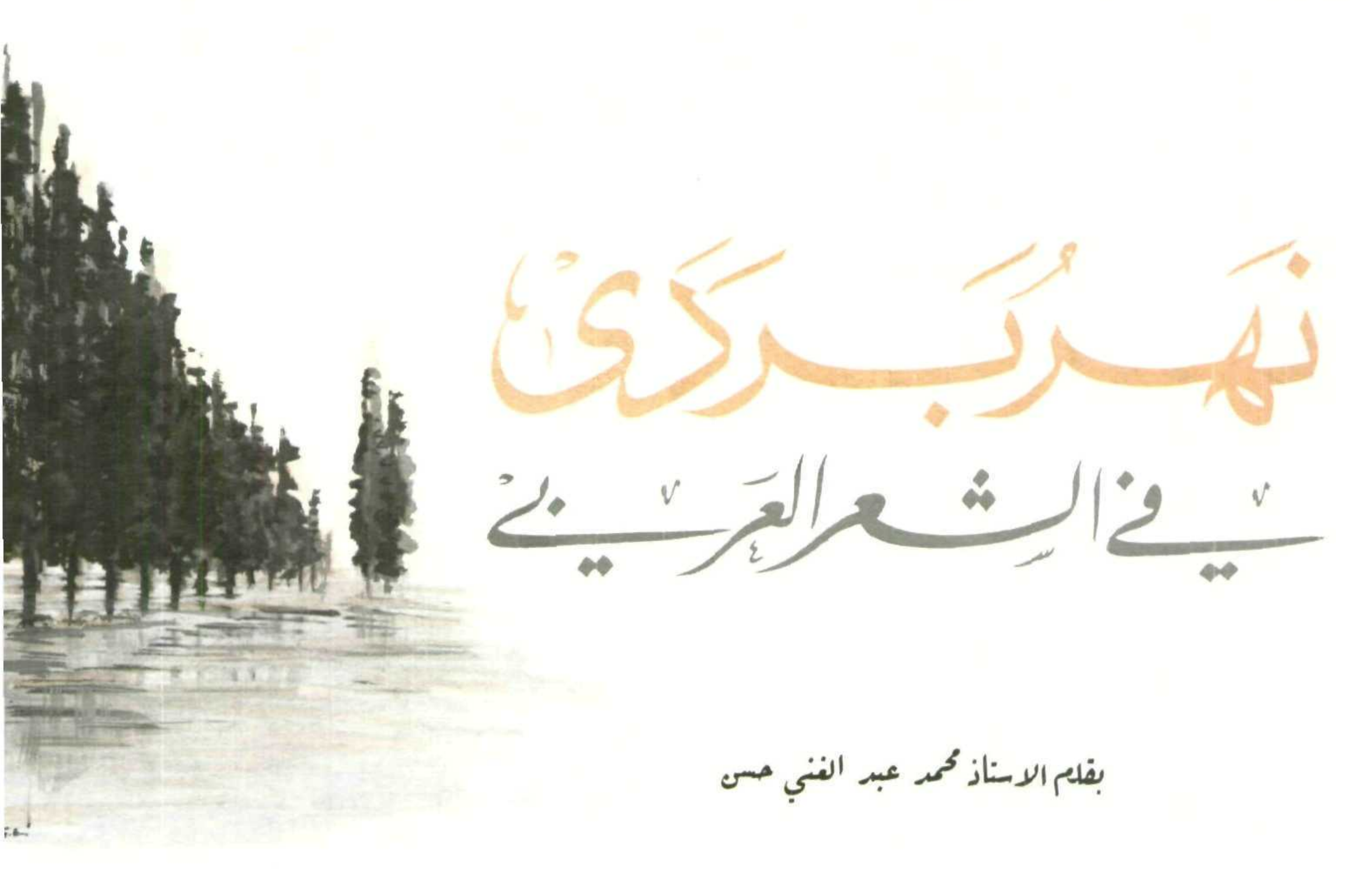
ودعنا قبل أن نمضي الى أباطح السيل نقف الى هذه الثنية التي تهبط الى جرول الخلفية ، وكانوا يسمونها الحزنة ، كما نسمي اليوم جرول الخلفية « بالهنداوية » . انها حزنة صعبة المسلك لم تفلق كطريق الا في عهد العباسين ، فلقها جعفر البرمكي ليصل الطريق بين الجادة وبين بستان له كان يملكه في ما نسميه « الحفائر » .

لنمض فيما نحن فيه الى المسفلة . هذه هي الحتمة ، انها صخرات في طريق المسفلة ، لا بد انها كانت سوداوات ، فالحتمة في اللغة هي السواد . لتهون من خطوك فهذا صاحب الأزلام على كتف الصخرة الكـبرى يستقسم بالازلام ، وهؤلاء غواة من الاعراب يزدحمون حوله في انتظار دورهم أمام الازلام .

لنمض ، فهذه مزارع المسفلة على خطوات منا . أترى هذا الماجل ..؟ انه ماجل أبي صلابة . وهو مجمع المياه ومنحدر السيل يسقي أكثر من بستان حوله بما يجتمع اليه من الأمطار . لقد تناولته يد البناء في عهد المأمون فكان بركة ، وسماه الناس بركة الماجل ، ثم ما لبثنا أن حرفناه فهو اليوم « بركة ماجد » .

أيروقك أن تمضي الى أكثر من هذا ..؟ لقد انتهت مكة الآهلة ، وليس أمامك الا ماجلان صغيران يسقيان بعض المزارع في مسيل الوادي . واذا استطعت أن تمد ناظرك الى أبعد من هذا ، فسوف يسلمك الوادي الى مزارع تكتنف الجادة فيما يسمونه جرول الخلفية ، ونسميه اليـوم الهنداوية .

دعني أودعك عند هذه النهاية ، وسألتقي بك ، اذا شئت ، في مشاهد جديدة من تاريخ مكة القديم .



نهر بردى في الشعر العربي

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

للأنهار تأثير عظيم في نفوس الشعراء ، فلقد كانت دائما في القديم والحديث وحيا لكثير منهم ، ومددا لالهامهم ، ومثارا لشاعريتهم . وهي من المشاهد المائية التي سكنت اليها أنفس الشعراء ووجدت عندها متسعا من القول ، شأنها في ذلك شأن البحار والغدران والبحيرات والشلالات . ولا فرق في هذا بين شاعر عربي وشاعر غربي . فالشاعر الانجليزي « ورد زورث » مشهور بقصائده الرائعة في وصف « منطقة البحيرات » بشمالي انجلترا التي أقام فيها . والشاعر الفرنسي « لامارتين » اشتهر بقصيدته « البحيرة » التي مزج فيها بين الوصف الطبيعي والوصف الشعوري ، لمفاتن حبه . والشاعر العربي الدمشقي « ابن النقيب » من شعراء القرن الحادي عشر الهجري اشتهر بغرامه الشديد بأنهار الشام وتردده عليها ، وتفيؤه ظلال أشجارها ، ووصفه لجولاته النهرية الشائقة في كثير من قصائده .

ولقد كان نهر النيل ، وبردى ، ودجلة ، والفرات ، وبانياس ، وطائفة من أنهار الأندلس باعثا على التأمل لكثير من شعراء العرب في الماضي والحاضر . ولا تزال ترن في آذاننا قصائد كاملة ومقطعات في وصف النيل والتشوق اليه لشعراء من أمثال البهاء زهير ، ومحمود سامي البارودي ، وأحمد شوقي ، واسماعيل صبري ، ونجيب الحداد ، والتيجاني يوسف بشير ، ومحمود حسن اسماعيل وغيرهم . كما أن قصيدة الشاعر عبد الله بن المعتز في وصف « دجلة » تصور لنا النهر في حال فيضانه . أما ابن خفاجة الأندلسي ، فيرسم لنا صورة رائعة لأحد أنهار الأندلس وهو منعطف مثل السوار ، والأزهار تكتنفه من جانبيه ، فكأنه المجرة في السماء . أما الشاعر الصنوبري فلم يدع نهر « قويق » الذي يمر بحلب ، وكأنه على صغره ، يفاخر النيل والفرات في الشتاء اذا ما علت فيه مياه السيول والأمطار ، بينما يبدو في الصيف على حال من الضحل الى حد أن الضفادع تدعوه فلا يجيب ، والجرادة تغوص في قعره فلا تغيب .

وقد يكون النهر فيه بقعة من الأرض لافتا لأنظار الناس عامة ، وللشعراء على وجه الخصوص ، فلا يدعونه دون أن يصفوه ويصوروا لنا انفعالهم به ، وذكرياتهم عنده ، حتى ولو كان في حالة التجمد . فإن حالة تجمد مياه النهر بفعل البرد الشديد لا تقل اثارة للشاعرية عن حالة «السيولة» التي تكون عليها الأنهار في أكثر أيام العام . وهنا تحضرنا قصيدة « النهر المتجمد » للشاعر ميخائيل نعيمة التي يقول في مطلعها :

يا نهر هل نضبت مياهك ... فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عز ... مك فانثنيت عن المسير ؟

وقد يمر « نهر » على شعراء ، أو يمرون هم عليه ، فلا يلتفتون اليه ، ولا يأخذ من اهتمامهم قدر ما يأخذ منهم منظر طبيعي آخر . فإن نهر « بردى » بالشام قد مر عليه الشاعر « ابن منجك » من شعراء القرن الحادي عشر الهجري ، ولكنه لم يلتفت اليه ولم يهتم بوصفه ، على حين خص قرية « عربين » الشامية بثلاث مقطوعات . ولعله ، رحمه الله ، كان مشغولا بوصف مجالس له بقصر الأمير في دمشق ، ومدحه .

وكذلك كان الشاعر « الوأواء » الدمشقي ، من شعراء القرن الرابع الهجري ، فقد اشتمل شعره على أغراض في وصف الثريا ، والروض ، والبنفسج ، والغيث ، ولكنه لم يتجه شطر واحد من أنهار الشام التي افتن غيره من شعراء الوصف في تصويرها .

وقد اكتفى بعض الشعراء في القديم والحديث من الوقوف على نهر بردى باشارة عابرة ، أو خطرة سائرة . ولكن هذه الاشارة كتب لها

من التمجيد والبقاء ، والسيرورة والانتشار ما لم يغفله التاريخ الأدبي للقصائد العربية . فالشاعر الاسلامي المخضرم حسان بن ثابت لم يفته ، وهو يمدح الغساسنة بالشام قبل أن يشرح الله صدره للإسلام ، أن يشير الى كرم ممدوحيه وهم يسقون من يفد عليهم ماء نهر بردى المصفق بالرحيق ، فيقول بيته المشهور :

يسقون من ورد البريص عليهمو ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

وهو من قصيدته اللامية المشهورة التي مطلعها :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ... بين الجوابي ، فالبضيع ، فحومل ؟

وتذكرنا هذه الاشارة السريعة الباقية الى نهر بردى ، بالاشارة الرقيقة المؤثرة التي جاءت في مطلع قصيدة الشاعر أحمد شوقي المشهورة « نكبة دمشق » حيث يقول :

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

ولعل الشاعر ابن النقيب الملقب بـ « ابن حمزة » كان أرق شعراء الشام ، وأكثرهم لصوقا بنهر بردى والغوطة ومنازه دمشق . وقد كان يتخذ له عند احدى شجرات الوادي على ضفاف بردى مقيلا ، فلم يشأ أن يترك هذه الانعطافة الى النهر الفاتن تمرّ دون أن يسجلها في شعر يقول فيه :

يا سرحة الوادي ، سقيت من الحيا ... غدقا يواصل وبله بقطاره
لم أنس يومي في ذراك وحبذا ... من ظلك الألمي دبيب عذاره !
لما أنخت بجانب النهر الذي ... قد طاب لي عيش مضى بجواره
حيث النسيم جرى عليه مهيمنا ... فكأنما ناجاه بعض سراره !
فتجعدت منه الأسرة واغتدى ... بخريره ينبيك عن أخباره

ولقد مضى على نهر بردى بعد ذلك قرابة ثلاثمائة عام لم يقف عليه شاعر فيما وقفنا عليه من شعر ، الى أن جاء العصر الحديث ، فرأينا قلوب باقة من الشعراء تهفو اليه ، وتتحدث عنه ، وتطيل الحديث بما لم نعهده عند الماضين من الشعراء . فهذا هو الشاعر الفحل محمد البُزُم رحمه الله المتوفى سنة ١٩٥٥ م يصنع مطوّلة في دمشق ، ويخصّ منها نهر بردى وفروعه بثمانية عشر بيتا يقول منها :

صاف كأخلاق الكرام يحثّه ... كرم النجار ، لينعش المفؤودا
مترقرق طوع النسيم ، مسلسل ... كخواطر الشعراء رُمْنَ قصيدا

واذا كانت قصيدة محمد البزم في « بردى » قد بلغت بضعة عشر بيتا ، فإن قصيدة الشاعر الكبير خليل مردم فيه قد بلغت ثمانية وسبعين بيتا ، وهو أطول قدر من الشعر قيل في هذا النهر حتى اليوم . ولعل الاطالة هنا لأضفاء أهمية على هذا النهر الصغير . ولكن مما لا شك فيه أن خليل مردم قد أراد أن يستكمل صورة النهر بما لا يفوت حتى دقائقه . ومن تصويره الفاتن لبردى قوله ، عليه رحمة الله :

يريك في جريه من مائه صورا ... تبدو على ثبج منه وضحضاح
ما بين منسرب ، أو مزبد لجب ... أو مستدير كظهر الترس منداح
ما مرّ في بقعة الا وخاطبها ... طورا بغمغمة ، طورا بافصاح
في كل مرحلة لحن فمن هزج ... الى هدير ، الى ترنيم نوّاح !

وما اشترك والد وولده في وصف نهر ، كما فعل الشاعر خليل مردم ، وولده الشاعر عدنان ، في وصف نهر بردى . فلعدنان مردم قصيدة في بردى تبلغ أبياتها الأربعين ، وقد أودعها ديوانه الموسوم « صفحة ذكرى » . على أن له في هذا الديوان نفسه أربعة أبيات في تحية بردى ، يقول فيها ويبدع :

بردى يزغرد في مساربه ... من نشوة ، وكأنه غرد
في كل مرحلة يسير بها ... لحن له ، ووساوس ترد
قيثاره بيديه عازفة ... ما كرّ دهر ، أو أهلّ غد
يستصرخ الماضي بنأمته ... فيهبّ تاريخ ، ويحتشد

وقد اهتمّ عدنان مردم في مطولته بالأمجاد العربية التي مرّ بها بردى أكثر من اهتمامه بتصوير النهر نفسه . ونجد طول النفس في تصوير بردى عند الشاعر أنور العطار . فقد نظم في النهر قصيدة بعنوان « بردى » تبلغ أبياتها الستين ، وقد مزج فيها العطار بين الأمجاد والذكريات والصور الحسية ، قائلا :

تنتحي جلّق الحبيبة لهفان ... وتجري في مهدها مطمئنا
وهي في فرحة المشوق تلاقيك ... وتحنو عليك صدرا وحضنا
وتحييك بالمؤانس لدنا ... وتناجيك بالصوادح لسنا
وتغني فيخفق النهر قاعا ... وضفافا خضرا نطافا ومتنا
تتراءى في السهل تنساب فيه ... تتثنى ما شئت أن تتثنى
كشريط من فضة في وشاح ... سندسي يسبي النواظر حسنا

على أن هذه ليست القصيدة الوحيدة لأنور العطار في بردى ، فله فيه قصيدة أخرى رائية عنوانها « النهر الشاعر » . واذا كان بردى قد جذب اليه بعض قلوب القريبين منه ، فإن هناك بعض القلوب الكبيرة التي اشتاقت اليه على بعد . فقد كتب الله على الشاعر المهجري جورج صيدح أن ينزح الى دار الهجرة في أمريكا الجنوبية ، ولكنه وهو في المغترب ، ينظم قصيدة عنوانها « بردى » تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتا وعلى الرغم من كونها داخلة في شعر الحنين الى الأوطان ، فإن فيها تصويرا للنهر ، يقول فيه :

أهواك في ثوبك الفضيّ زركشه ... بدر الدجى بشعاع حوله مسدا
أهواك في صفحة للفجر ضاحكة ... خطّ النسيم عليها شعره زبدا
أهواك في قلبك الشفاف لاح به ... ظل المآذن والأشجار مطردا
أهواك كالليل وثابا ومقتحما ... كالأفعوان تلوى ، كالغزال عدا
أهواك في يقظتي ، أهواك في حلمي ... أهواك مقتربا ، أهواك مبتعدا

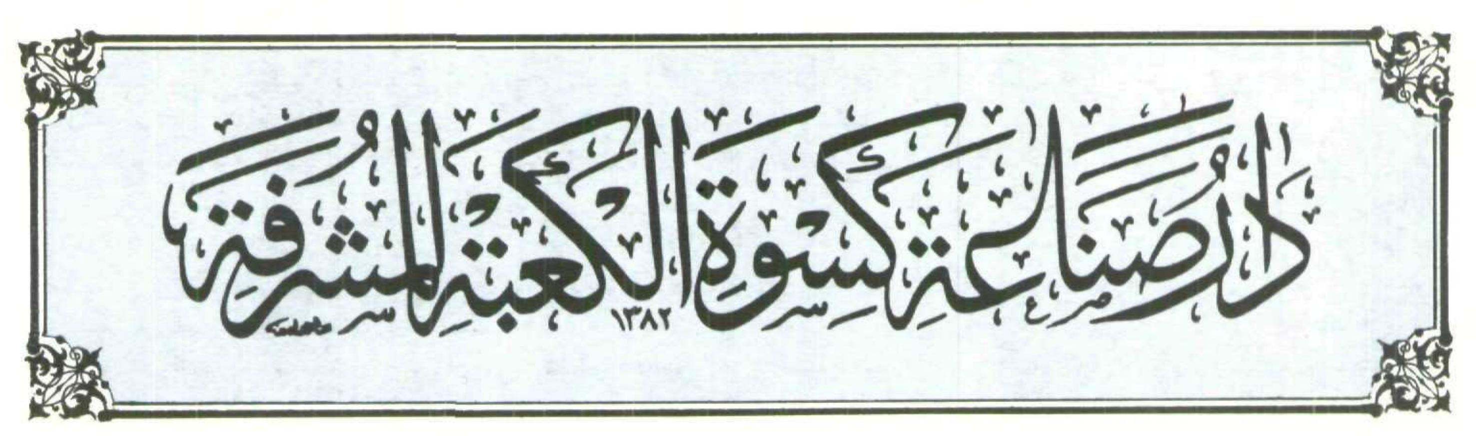
ولم ينفرد شعراء الشام بوصف نهرهم بردى أو التعلق به أو الحنين اليه ، فهناك شاعران من أهل الكنانة دعتهما مناسبة مهرجان شعري الى الاقامة بدمشق بضعة أيام في خريف سنة ١٩٦١ ، فوجدا من غير الوفاء أن لا يكون لهما اطلالة على بردى ، وهما مطلاّن عليه في مقامهما . أما أحدهما فهو الشاعر العوضي الوكيل ، الذي قال محييّاً النهر :

الى بردى جئنا ، وفي النفس لهفة ... اليه ، وفي الأحلام فرط حنين
نسير على شطيه نسترجع الذي ... مضى من ليالي المجد منذ قرون
ونرشفه ، لا فيض ماء ، وانما ... هوى في نواحي النفس جدّ متين

وأما الآخر فهو الشاعر صالح جودت ، الذي قال في وقفة على بردى :

فديتك يا بردى ما جريت ... تغنيت بالحب اذ تهدر
تجبّ عيونك سحر العيون ... وتحسد رونقك الأنهر
على درجاتك طال الربيع ... وطاب بك الصحب والمعشر

وبعد ، فهذه هي بعض وقفات من الشعراء القدامى والمحدثين على نهر بردى ، الذي قال فيه المؤرخ الأديب أبو البقاء البدري المصري الدمشقي ، من علماء القرن التاسع الهجري « ان رؤية هذا النهر تذهب الهمّ وتزيل الحزن » .



حلة سوداء من الحرير الخالص حاكتها أيدي صناع سعوديين مهرة وزينتها بحزام كتبت عليه الآيات الكريمة بخيوط فضية مموهة بالذهب فجاءت تنطق بالروعة والحسن والجمال .

ينسج القماش على الأنوال ، وتنسج فيه أيضا الكتابة التي جرى اعدادها مسبقا .

وفي التاسع من ذي الحجة من كل عام، وأثناء وجود الحجاج في عرفات، يؤدون مناسك الحج، ويقدمون لله الضحايا، يقوم سدنة البيت الحرام بنزع الثوب القديم عن الكعبة المشرفة والباسها الكسوة الجديدة المصنوعة من الحرير الخالص المحلى بآيات ونقوش مطرزة بخيوط من الذهب، حتى اذا ما أشرق يوم العيد، وعاد الحجاج الى المسجد الحرام، بدت لهم الكعبة المشرفة ترفل بثوبها الدمقسي القشيب وكأنها تشارك عباد الله الصالحين فرحتهم وابتهاجهم بالعيد السعيد، فيهنيء بعضهم بعضا ويشكرون الله على خيراته ونعمه. وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، أنشيء لصناعة الكسوة معمل خاص في مكة المكرمة، جعلت له ادارة نشيطة وميزانية خاصة، فقام بالمهمة المسندة اليه خير قيام، وأصبح يعد للكعبة المشرفة في كل عام كسوة بهية أنيقة يشهد بجودتها ودقة صنعها كل من زار مكة المكرمة، وحج بيت الله الحرام.

تاريخ الكسوة في الجاهلية والإسلام

يختلف المؤرخون في تاريخ كسوة الكعبة المشرفة. فالمؤرخ أبو الطيب الفاسي يذكر في كتابه «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام» ان أول من كسا الكعبة على ما قيل له هو النبي اسماعيل عليه السلام، ولكن لم يؤيد كلامه هذا أحد من المؤرخين القدماء. ومما يذكره الفاسي أيضا ان أول من كسا الكعبة كساء كاملا من الحرير المقصب هو تبع الحميري، وقد أيده في ذلك محمد لبيب البتنوني في كتابه «الرحلة الحجازية» حيث قال: «وأول من كساها تبع أبو كرب أسعد ملك حمير، حين مرّ عليها راجعا من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة»، ولكنه قال انها كسيت بالبرود المقصبة وانه عمل لها باب ومفتاح، واستشهد على ذلك بما قاله تبع مفتخرا.

فكسونا البيت الذي حرم
الله ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا

واذا تتبعنا الروايات التاريخية، المختلفة نجد أن معظمها يُجمع على أن «تبعا» هو أول من كسا الكعبة وذلك قبل الهجرة بقرنين. ولئن كان ملك حمير هو أول من كساها من الرجال، فان أم العباس بن عبد المطلب هي أولى من كساها من النساء، وقد كستها بالحرير والديباج وفاء لنذر نذرته. وقد ظلت قريش تكسو الكعبة عاما بعد عام حتى كان عهد أبي ربيعة المخزومي، وكان في سعة من أمر دنياه، فقال لقريش: «اكسوها من مالي عاما وقوموا بكسوتها عاما» فسمي بذلك عدل قريش. واستمر الأمر على ما هو عليه حتى جاء الاسلام، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بكسوتها بالثياب اليمانية، ثم كساها من بعده أبو بكر، وعمر، وعثمان، وابن الزبير، وعبد الملك بن مروان، ويقال أن عثمان هو «أول من ظاهر لها بين كسوتين.»

وبالغ العباسيون في كسوة الكعبة، وكانت من الحرير الأسود، (شعارهم)، وكانوا يصنعونها في مدينة «تنيس» في مصر. وظلت كساوى الكعبة توضع فوق بعضها البعض حتى كان عام ١٦٠هـ، عندما حج الخليفة العباسي المهدي، فشكا اليه سدنة الكعبة ان كساوى الكعبة كثرت عليها، والبناء ضعيف يخشى عليه من ثقلها، فأمر بتجريدها وان لا يسدل عليها سوى كسوة واحدة، واستمر ذلك الى يومنا هذا.

ومما ذكره الفاكهي ان أول من كساها الديباج الأبيض هو المأمون بن الرشيد، واستمر بعده. وفي أيام الفاطميين كسيت الكعبة بالديباج الأبيض، ثم الأصفر، ثم الأخضر، ثم الأسود الذي استمر حتى الآن. وبقي الملوك والأمراء يتوالون على كسوتها حتى وقف عليها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر، في عام ٧٥٠هـ، ثلاث قرى من قرى القليوبية في مصر تدعى بيسوس، وسندبيس وأبي الغيط، فصارت الكعبة تكسى من ريعها كل سنة والحجرة النبوية كل خمس سنوات. وكانت الكسوة تصنع في ورشة «الخرنفيش» الذي يقال ان مؤسستها شجرة الدر.

وفي عهد العثمانيين اشترى السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان سبع قرى أخرى بمصر أضافها الى وقف الملك الصالح. وبقيت هذه القرى موقوفة على الكعبة حتى حل وقفها محمد علي باشا في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، وتعهدت حكومة مصر بصنع الكسوة من مالها العام. وظل هذا دأبها مدة من الزمن على الرغم من وقوع الحرب العالمية الأولى واستيلاء الانكليز على مصر. وفي عام ١٣٤١هـ وقع خلاف بين الشريف الحسين والحكومة المصرية، فمنع الشريف دخول المحمل المصري الذي فيه الكسوة والصدقات، وأبرق الى المدينة المنورة طالبا الكسوة التي كانت قد صنعت في الآستانة احتياطا وحفظت فيها. فنقلت الكسوة من المدينة المنورة الى جدة عن طريق ثغر رابغ ووصلت قبل أن يحين موعد ابدال الكسوة وهو التاسع من ذي الحجة عام ١٣٤١هـ. وقد أثارت السرعة التي حضرت الكسوة فيها ضجة عظيمة في العالم الاسلامي آنذاك. وأثناء توحيد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود الحجاز ونجد تحت راية واحدة، منعت الحكومة المصرية ارسال الكسوة كالمعتاد، فكساها جلالة الملك عبد العزيز بكسوة (القيلان) التي كان الشريف الحسين قد صنعها في العراق احتياطا. وكذلك أمر جلالته في غرة شهر محرم عام ١٣٤٦هـ بانشاء دار خاصة لصنع الكسوة، فتم انشاء المصنع، واستيراد ١٢ نولا، واستقدام حوالي ستين عاملا من النساجين والمطرزين والفنيين من الهند. فشرعوا بعمل دائب حتى استطاعوا في نهاية ذي القعدة من العام نفسه انجاز الكسوة الشريفة على أحسن ما يرام. وقد صنع قماش الكسوة من الحرير الخالص، وكتب عليها بأصل الحياكة عبارة «لا إله الا الله محمد رسول الله»، وفي أسفل التجويفة لفظ الجلالة مسبوقا بياء النداء «يا الله»، وفي أعلى الضلعين الأيمن والأيسر «جل جلاله». كما جعل للكسوة حزام عرضه متر واحد، وكتب عليه مجموعة من الآيات الكريمة بالقصب الفضي المموه بالذهب. وكتب الخط آنذاك الخطاط الفني بوزارة المالية محمد أديب. وكتبت على ستارة الكعبة آيات كريمة على شكل دوائر، وحليت بالنقوش، فضاهت بجمالها الكسوة التي كانت ترد من مصر. وهكذا ارتدت الكعبة المشرفة أول كسوة صنعت في أم القرى على مر التاريخ.

وفي السنة التي تلت ذلك عين الحاج محمد خان مديرا للمصنع، واشترطت عليه الحكومة تعليم جماعة من أبناء المملكة فن النسيج والتطريز، وفي عام ١٣٥٢هـ حلّ الشيخ أحمد سالم الجوهري مديرا للمصنع مكان الحاج محمد خان، وحل العمال السعوديون مكان الهنود، وحيكت الكسوة بأيد عربية سعودية. واستمر العمل بهذا المصنع دون انقطاع حتى عام ١٣٥٧هـ، ولكن نزولا عند رغبة مسلمي القاهرة، توقف المصنع مدة من الزمن وأصبحت الكسوة ترد من القاهرة. وفي عام ١٣٨١هـ عاد المصنع الى العمل ثانية، وأسند أمر ادارته الى الشيخ محمد صالح سجيني، بينما عهد بادارته الفنية الى السيد عبد الرحيم







١ – تعد فتلات الخيوط وتلف بطريقة معينة تمهيدا لوضعها في الأنــوال .

٢ – هــذه الخيوط المتشابكة ، التي تعد حسب أنموذج أساسي يصممه المدير الفني ، تجعل الكتابة تبدو فــي القماش أثناء النسيج .

٣ – السيد عبد الرحيم أمين ، المدير الفني للدار ، يخط الآيات الكريمة والزخارف بالطبشورة قبيل البدء بعملية التطريــز .

٤– وصلات الحزام الجاهزة بانتظار تثبيتها في صدر الكسوة .

أمين الذي كان من أكثر السعوديين خبرة في هذا المجال ، فجمع السيد عبد الرحيم بعضا من رفاقه الأقدمين ، واختا نخبة أخرى من المواطنين الذين توسم فيهم المقدرة والذكاء واستأنف العمل ثانية . وبعد وفاة الشيخ محمد صالح سجيني ، عهد بادارة المصنع للأستاذ محمد سالم غلام ، بينما بقيت ادارته الفنية بعهدة السيد عبد الرحيم أمين . وفضلا عن الاشراف يقوم السيد عبد الرحيم أمين بإعداد نموذج أساسي تجري بواسطته الكتابة على الأنوال ، وكتابة الآيات الكريمة على القماش الذي يصنع منه حزام الكسوة وستارة باب الكعبة المشرفة .

عملية الصنع

قد يظن القارىء ان صناعة الكسوة عملية سهلة ، ولكنه حينما يدرك أن النول الواحد الذي يعمل عليه اثنان من فنيي المصنع ينتج ثلاثة أرباع المتر فقط من قماش الكسوة في اليوم ، يقدر ولا شك مدى الجهد الذي يبذل في عملية الصنع . وتبدأ عملية الصنع بغسل شلل الحرير البيضاء مرات عديدة بالماء والصابون لإزالة الأوساخ والمواد الكيماوية التي تكون عليها . وبعد ذلك تصبغ بلون نيلي صباغة مبدئية ، ثم تصبغ باللون الأسود . وبعد أن تجف تلف لتستخدم في الأنوال . وعلى الأنوال ، تعد خيوط الفتلات البالغ عددها ٩٧٤ فتلة لتوضع في ثمانية أمشاط ، ثم تضم جميعها في مشط كبير واحد . وبعدئذ تعد الكتابة على حدة حسب نموذج أساسي يعده المدير الفني ، ثم توزع على الأنوال . والكتابة على الأنوال يحسبها الرائي خيوطا متشابكة غير أنها في الحقيقة يسهل فصلها خيطا تلو آخر ، فكلما يمرر الفني خيطا من خيوط النسيج عبر السداة ينزل الفني الجالس قبالته خيطا من خيوط الكتابة .. وهكذا دواليك . وقد كانت الكتابة في أصل الحياكة كما سبق ذكرها « لا إله الا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله » فأضيفت اليها حاليا عبارة « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . »

أما عن صنع الحزام ، وستارة باب الكعبة ، فبعد أن ينسج القماش بطريقة مماثلة لما سبق ذكره ، لكن دون أن يكون في القماش كتابة ، يقوم المدير الفني للمصنع بكتابة الآيات على القماش بالطبشورة ، ثم يقوم العمال الفنيون بتحديد الكتابة بخيوط صفراء رفيعة ، وتملأ الفراغات حسب حجم الكتابة ، بطبقة من الخيوط القطنية ، ثم تغطى بطبقة من الخيوط الفضية المموهة بالذهب حتى تخرج الكتابة في النهاية نافرة ظاهرة .

مواصفات الكسوة

تحتاج الكسوة في صنعها الى ٧٥٦ مترا من القماش ، أو الى ٥٤ درجا حسب ما هو متعارف عليه لدى الفنيين ، والدرج عبارة من قطعة قماش طولها ١٤ مترا وعرضها متر واحد . ويبلغ سمك القماش حوالي مليمترين أو أكثر ، يضاف اليه سمك البطانة التي يصنعها فنيو المصنع أيضا من القلع الأبيض المتين .

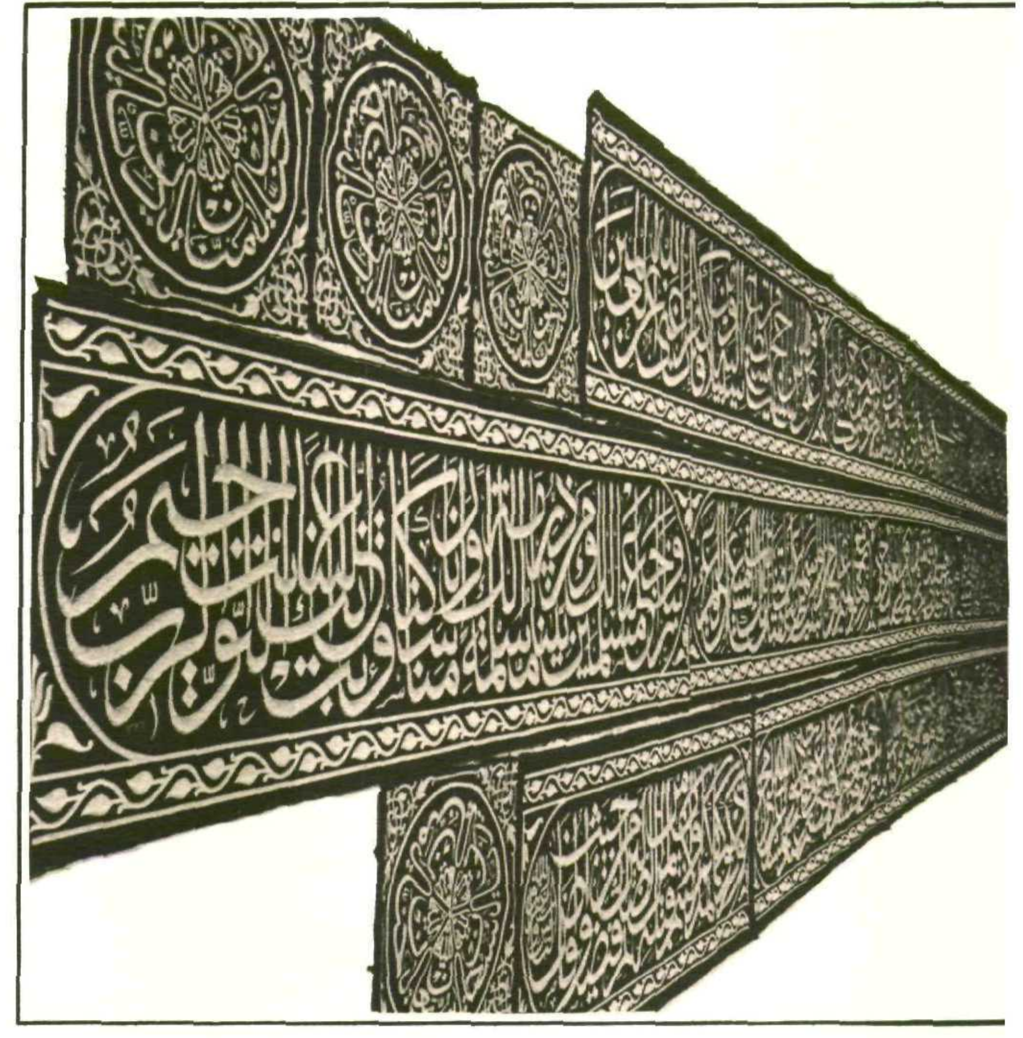
أما حزام الكعبة ، فيتكون من ١٦ قطعة يبلغ طولها جميعا حوالي ٦١ مترا . وعرضها ٩٤ سنتيمترا . ويوضع الحزام عادة على علو تسعة أمتار من الأرض . والآيات التي يحملها الحزام هي ما يلي :

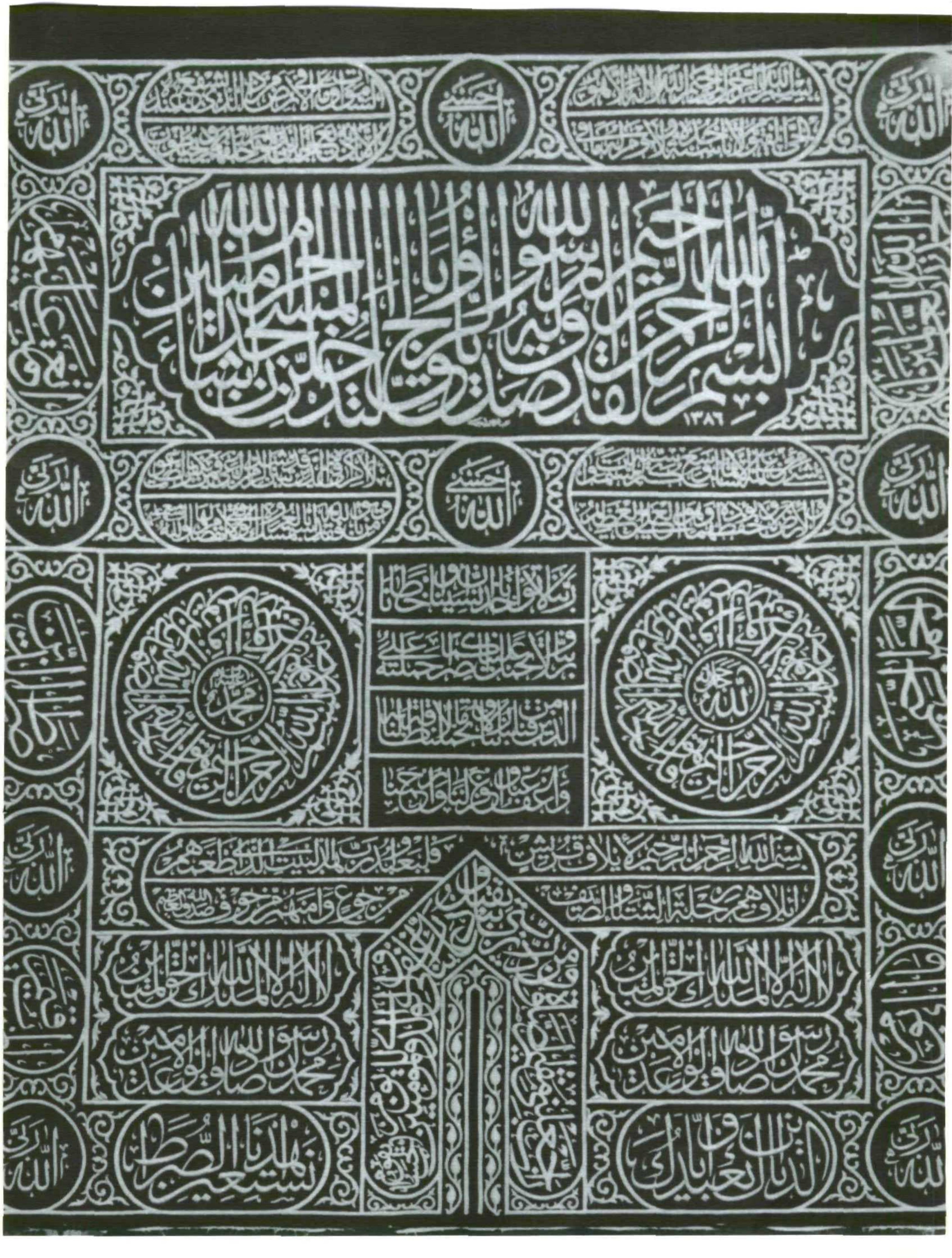
« بسم الله الرحمن الرحيم . الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوني يا أولي الالباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . »
وتظهر في جهة الحطيم ، أي حجر اسماعيل عليه السلام .

وفي الجهة الجنوبية بين الركن اليماني والحجر الأسود تظهر الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

٤





بسم الله الرحمن الرحيم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين
١٣٨٦
الله حسبي
الله ربي
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف صدق الله العظيم
لا إله إلا الله الملك الحق المبين
محمد رسول الله صادق الوعد الأمين
اهدنا الصراط المستقيم

للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين . »

وتظهر في الجهة الغربية بين الركن اليماني وحجر اسماعيل الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . »

وتظهر في الجهة الشرقية ، أي وجهة باب الكعبة المشرفة الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين العاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . »

أما ستارة باب الكعبة فيبلغ طولها سبعة أمتار ونصف المتر وعرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر ، وتحمل الكثير من الآيات الكريمة المكتوبة على شكل دوائر ومستطيلات وغير ذلك من الأشكال الهندسية .

موظفو المصنع

يعمل في دار صناعة كسوة الكعبة المشرفة ثمانون عاملا فنيا يشرف عليهم ويرشدهم مدير فني . وهؤلاء العمال موزعون على النحو التالي : ٤٥ موظفا في قسم النسيج ، يتقاسمون العمل على الأنوال ونسج الكتابة وغير ذلك من الأعمال الفنية . و ٢٥ موظفا في قسم الحزام يقومون بأعمال التحشية والتطريز ، وستة موظفين في قسم لف الخيطان ، وأربعة موظفين في قسم الصباغ . والجدير بالذكر أن جميع فنيي دار صناعة كسوة الكعبة المشرفة يستطيعون القيام بأي عمل من أعمال الدار الفنية ، فالذي يعمل على النول مثلا يمكنه التطريز والصبغ ، وتوقيع الكتابة ، وغير ذلك من الأعمال . هذا من الناحية الفنية ، أما من الناحية الادارية فيشرف على الدار مدير اداري ، لديه خمسة موظفين هم عبارة عن محاسب ، وأمين مستودع ، وثلاثة كتبة .

ان وزارة الحج والأوقاف تولي هذه الدار عناية وعطفا كبيرين . ويتوقع في القريب العاجل أن تزودها بأنوال آلية تستطيع بواسطتها انتاج كمية كبيرة من حنابل الصلاة التي بدأت بانتاجها كتجربة بدائية ، وذلك ليمسي باستطاعة هذه الدار فرش جميع مساجد مكة المكرمة بالحنابل الجيدة الصنع .

عصام العماد

عقب مرحلة نسج القماش ، تجمع وصلاته وتخاط منها الكسوة . ثم يوشى أعلاها بالحزام الذهبي المجلل بالآيات القرآنية الكريمة .



تصوير : عبد اللطيف يوسف

جانب من ستارة باب الكعبة المشرفة تجلله الآيات القرآنية الكريمة .

المراجع المدفونة والمصادر الحية

بقلم الاستاذ انور الجندي

في مجال الدراسات الأدبية يقوم عاملان مهمان بتكوين حصيلة المادة التي تحقق بناء عمل كبير يمكن أن يوصف بأنه موسوعة أو دائرة معارف للأدب العربي المعاصر . هذان العاملان هما « المراجع المدفونة ، والمصادر الحية » .

أما المراجع المدفونة فهي الدوريات القديمة التي علاها التراب ، والتي قضى على أوائلها اليوم حوالي مائة عام . ففي مثل هذه الأعوام من القرن الماضي كانت البلاد العربية تزخر بصحافة متطلعة الى الكمال في مجال الأسلوب والمضمون ، تحاول أن تتحرر من قيود السجع وقيود الكلمة . وفي فترة السبعينات من القرن الماضي يمكن أن يقال أن اليقظة قد بدأت وانبعثت في ظل ارهاصات مختلفة ، ودعوات اصلاح وتجديد متعددة في مختلف المجالات ، وكانت الصحافة هي « نافذة اليقظة » .

وقد ظهرت صحف يومية ومجلات أسبوعية وشهرية ، في مختلف الفنون : علمية ، وأدبية ، وصحف للمرأة ، وصحف للعلوم ، وصحف للفكاهة ، وصحف لعشرات الأغراض . وبدت الكلمة المطبوعة لها دوي ، وجرت رحلات كتّاب الشام الى مصر ، ومهاجري لبنان الى العالم الجديد ، لتكون في أوائل القرن مدرسة المهجر ، وان لم يطل بكثير من هذه الصحف والمجلات عهد ، ولم يتحقق لها الاستمرار ، ولكنها تركت آثارا وبصمات أيقظت نفوسا وأحيت مفاهيم ورؤى جديدة ناهضة .

هذه الصحف هي ما نسميه اليوم بـ « الدوريات » ، وما نحاول أن نستخرجها من معاقلها ونبحث فيها ، ونستخرج منها اتجاه الكلمة ، ومفهوم عشرات من قضايا الأدب والاجتماع . ان بعض هذه الكلمات التي نشرت قد أعيد طبعها في مؤلفات وكتب ما تزال مرجعا للباحثين . ولعل هناك حقيقة لا مبالغة فيها ، هي أن أغلب المؤلفات التي تعتبر علامات على طريق الفكر العربي اليوم ، قد نشرت فصولا وكلمات في الصحف والمجلات ، غير أن الحقيقة الخطيرة هي أن هناك مئات الكلمات وعشرات الاسماء والموضوعات والباحثين طواهم النسيان ، واختفى ذكرهم في هذه المراجع المدفونة ، وربما فاق بعضهم في موضوعه ، وفي بيانه الكثيرين ممن لمعوا وبرزوا . ومن هنا كان حقا علينا أن نبحث عنهم وأن نستخرجهم .

وما تزال هذه المراجع القديمة ، وهذه الدوريات المدفونة حافلة بالكثير ، وما تزال قادرة على أن تمد الباحث في كل فن من فنون البحث بالعلاقات الأولى والخطوط الباكرة في مجال البحث ، ما استطاع الباحث مصابرة عشرات هذه الصحف في مجلداتها التي تبلغ المئات . وفي هذه المراجع يجد القارىء كثيرا من الغث وقليلا من المنافع ، فاذا أمكن استخراج هذه العصارات النافعة أمكن أن تؤدي أهمية كبرى في استكمال صورة العصر وملامح المجتمع .

أما بالنسبة لي فانني أعمل في هذا الحقل منذ خمسة عشر عاما وأرجو أن أستمر .

ولكن هل تكفي الأضابير والدوريات ؟ لا أظن ذلك ، فلا بد من البحث عن « المراجع الحية » ، وهذه المراجع هي الأفراد الذين عاشوا الأحداث أو شهدوا من عاشوها .

منذ التقيت بالشيخ عبد القادر المغربي قبل وفاته بسنوات ، أحسست أن وجودي قد امتد حتى شهد « جمال الدين الافغاني » ومعاصريه ، فقد كان « المغربي » آخر هذا الجيل الذي رآه يحمل ذكرياته قبل أن يعبر الى الشاطىء الآخر عام ١٨٩٧ . ومن هذا الجيل لطفي السيد ، وسعد زغلول ، ومحمد عبده ، وشكيب أرسلان ، ولكل من هؤلاء ذكريات عنه ، وعن لقاءات معه في القاهرة واستانبول . وقد كنت حفيا بأن أجد رجلا عايش جمال الدين واستمع اليه ، وحققت هذه الرغبة بلقائي للشيخ عبد القادر المغربي في ندوة الأستاذ محمد علي الطاهر ، الحافلة بأعلام الشرق والعرب عام ١٩٥٢ ، والتي كان يردها كل مجاهد ، أو كاتب من العالم العربي . وقد تعرفت فيها بالكثيرين ، ومن هؤلاء رجل ترسم حياته تاريخ جيل كامل في الجزائر هو « البشير الابراهيمي » ، العلامة الذي شارك « عبدالحميد ابن باديس » حركة الاصلاح والتعليم في الجزائر ، في الثلاثينات من هذا القرن .

ولقد التقيت بالبشير مرات ، وكان يقيم مع تلميذه « الفضيل الورتلاني » ، وسمعته وهو ينشد عشرات من أبيات قصيدته المطولة التي سجل بها أحداث التاريخ والجهاد . بل لقد أتيح لي أن ألقاه ساعة أعلن استقلال الجزائر ، وكانت كل ملامح وجهه تشع بالسعادة والفرح ، فقد عاش الشيخ طويلا مهاجرا ، يطوف العالم العربي والاسلامي داعيا لوطنه ، وهو الذي بنى مع « باديس » أكثر من ثلاثمائة مدرسة في المساجد لتعليم اللغة العربية ، التي كانت على وشك أن تتبدد .

وبعد أن توفي فريد وجدي ، ولطفي السيد ، وعبد القادر المغربي ، لا أعتقد أن رجلا من أعلام المعمرين شهد مطالع القرن يعيش الآن ، سوى الدكتور « غلوش » ، مدّ الله حياته . ففي عام ١٩٠٥ كان قد عاد من أوربا بعد أن أتم تعليمه ، ولعله من القلة الذين شهدوا « كرومر » وتحدثوا اليه . ولعل واحدا من هؤلاء المعمرين الاعلام في الشام ما زال حيا شهد عهد السلطان عبد الحميد ، وكان موظفا في القصر « الهمايوني » قبل سنة ١٩٠٨ ، هو « احسان الجابري » ، وقد التقيت به منذ سنوات ، وحدثني حديثا مستفيضا عن هذه الفترة وأحداثها .

أما خليل ثابت فقد التقيت به وهو في التسعين من عمره ، متألق العقل وافر الحيوية ، قادرا على ايراد الأحداث في نصاعة كأنما قد حدثت بالأمس ، وقد أفدت كثيرا مما شاهد ، كأنما أعيش هذه الأحداث .

ومنذ أن توفي أحمد زكي ، ومن قبله أحمد تيمور ، وهما من عرفهما الناس فرسي رهان في شراء الكتب ، وقد جمع أولهما ١٨ ألفا ، وجمع ثانيهما ١٢ ألفا ، لم نعد نرى بعد من هو في مثل طموحهما الى جمع الكتب . وقد كان أحمد زكي يتميز بقصاصاته وجذاذاته ، وما تزال هذه مخزنة ، منذ مات عام ١٩٣٤ حتى اليوم ، في حجرة مظلمة في عيادة طبيب لا ينتفع بها أحد، ويمكن أن تكون موسوعة ضخمة في عشرة مجلدات. ولم نشهد من قبل ذلك غير محمد مسعود الذي كان ينافس زكي باشا في اعدام أطراف القصاصات والجذاذات والوثائق ، وكانت له مكتبة رائعة من هذا النوع أولى الاهتمام فيها للجغرافيا وللاندلس بالذات ، وكان له موظف يحصل على مرتب شهري ليرعاها ويعمل فيها . وقد أفادت هذه وتلك عشرات الباحثين ، لدرجة ان جاء بشر فارس من باريس ليعد رسالته في القاهرة على قصاصات زكي باشا . كما أفاد تيمور باشا عشرات الباحثين في مصر والشرق ، وكان له مراسلات في بغداد مع الأب انستاس الكرملي ، وأعلام اللغة في دمشق من أمثال كرد علي ، ومصطفى الشهابي ، وغيرهما . وقد أهملت قصاصات محمد مسعود بعد موته ، منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وربما تبددت وضاعت .

وكان يمكن أن تعد من هذه الجذاذات موسوعة كالموسوعات التي يعيش عليها الأدباء اليوم ، مثل كتاب «الاعلام» لخير الدين الزركلي بعد أن وسّعه فأصبح عشرة مجلدات ، و«أعلام المؤلفين» للعلامة نور الدين كحالة من دمشق في ١٤ جزءا ، و«مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر ، و«معجم المؤلفين» لسركيس . وقدم فيليب دي طرازي مرجعا في الصحافة العربية في العالم العربي كله على قدر استطاعته اذ ذاك ، وقدم محمود اسماعيل دليلا في الدوريات في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

وقد كان المقتطف مرجعا ضخما للمؤلفات التي صدرت خلال خلال فترة صدوره (١٨٨٥ – ١٩٥٢) ، وتحتاج هذه المراجعة الى بحث مستقل . وقد عني الدكتور صروف ، بنقد الكتب الجديدة . وكانت للنقد واستعراض الكتب مدرسة بارزة شهدتها في الأعوام الأخيرة للمقتطف ، من روادها وديع فلسطين ، ومحمد عبد الغني حسن ، وحسن كامل الصيرفي ، ومصطفى السحرتي ، وما يزال هؤلاء حتى اليوم هم عمالقة النقد والبحث والتعليق على المؤلفات . فالاستاذ عبد الغني حسن ما زال المرجع الأول في القاهرة للكتاب العربي من كل مكان ، ليس في نقده فحسب، بل وفي تقويمه، فما أن تسأله عن مراجع أي بحث في الأدب والصحافة أو الترجمة والتراث ، حتى تحصل على معلومات كاملة عنه، طبعات الكتاب والزيادات التي أضيفت اليه ، وما استقطع منه ، وما حذف وما استدرك . ويشاركه الأستاذ وديع فلسطين في هذه القدرة ، فهو واسع المعرفة بأدباء العالم العربي في كل مكان ، وهو مرجع لتنقلاتهم وآثارهم وحيواتهم وشخصياتهم ، له مراسلات واسعة مع أغلبهم ، لا ينقطع عنه سيل المؤلفات . وأنت ما تكاد تعرفه حتى تجده متفضلا يرسل لك كل ما ينشر عنك في الصحف العربية ، وتصلك بين حين وآخر قصاصات في ظرف مغلق تمثل كل ما يمكن أن يهمك من مقالات نشرت عنك، أو أخبار تتصل ببحثك، في متابعة لا حد لها لذلك السيل المتدفق من الأبحاث والدراسات .

ويمكن أن نضيف الى هذين الرجلين في هذا الميدان رجلا ثالثا، لم تكن له صلة بالمقتطف ، هو الشيخ «محمود أبو ريه» ، الذي يكتب في الصحف ويجمع قصاصاتها منذ عام ١٩١٠ . فقد قرأت له أسئلة موجهة الى الشيخ جاويش في مجلة«الهداية». وتحوي مكتبته قصاصات الأدب والتاريخ خلال خمسين عاما. وما أذكر أنني سألته في أمر الا وجدت لديه منه خبر ، وقصاصة ، وسند مكتوب .

ولأحمد تيمور في دار الكتب بباب الخلق بالقاهرة (كناشة) ضخمة ، تضم أكثر من أربعمائة صفحة بحجم الصحف اليومية عبارة عن قصاصات صغيرة عن أحداث وأسماء ووفيات خلال حياته الطويلة حتى عام ١٩٣٠ .

وفي مجال المكتبات ما تزال مكتبة العقاد أضخم مكتبة في عصرنا ، ولكن مكتبة الدكتور صبري السربوني شيء عظيم . فقد وجدت حوائط بيته مليئة كلها ومغطاة بمجلدات من الكتب ، وما زال – أطال الله عمره – مكبا منذ ثلاث سنوات على بحث عن الحضارة العربية في افريقيا . وانني لأحس بالهزة والأسى حين أرى أمثال المكتبات الخاصة لزكي مبارك وفريد وجدي وعبد العزيز جاويش وزكي باشا قد تبددت وذهبت .

ويعتبر «علي أدهم» اليوم أكبر قارىء ومستوعب وناقد في مصر بعد وفاة العقاد ، وما تزال مكتبته الحافلة تحوي أحدث الدراسات التاريخية والأدبية والفكرية من أنحاء العالم . وهو قارىء رصين ، وباحث أصيل ، ما تزال دراساته ممتدة في مراجعات الأدب والفكر والفن ، منذ قرأت له عام ١٩٢٢ في جريدة الدستور التي كان يصدرها «فريد وجدي» .

وما يزال «علي الجندي» الشاعر ، بقية الرواة والحفاظ للشعر العربي القديم ، وشيخ الشعراء الغزليين في عصرنا. وقد استوعب الأغاني والمحاضرات وعشرات من الدواوين وموسوعات البلاغة العربية ، حتى أصبح «ثعالبي» العصر . وهو بقية جيل انقضى كان من أبرز رجاله «كامل كيلاني» الذي كان يدهش الناس باستشهاداته – في كل مجال – بالشعر العربي القديم ، وكان يحفظ أكثر من خمسة آلاف بيت أغلبها لأبي العلاء المعري .

ولقد توسعت آفاق البحث عندي فلم تقتصر على مصر وحدها ، بل التقيت بعشرات من العالم العربي ، أفدت منهم ، في مقدمتهم الدكتور زكي المحاسني ، وزوجه الكاتبة النابغة السيدة وداد سكاكيني ، وكانت القاهرة لهم وطنا ثانيا . وهلال ناجي ، الشاعر الدبلوماسي ، فهو مرجع خصيب للمؤلفات والمقالات والمراجع . وفي المغرب عرفت الكثيرين ، في مقدمتهم العلامة عبد الله كنون ، والصحفي اللامع عبد الكريم غلاب ، والسيد ابراهيم الكتاني . وأبو القاسم كرو ، في تونس . والمصراتي ، في ليبيا . ومحمد علي دبوز ، في الجزائر . وأفدت من صحبة هؤلاء كثيرا ، واستطعت عن طريقهم أن أدرس حركات الأدب والفكر والصحافة في المغرب العربي . ومن السودان كان الباحث الأديب عز الدين الأمين مصدرا مهما للحركة الأدبية . أما في فلسطين والأردن فقد عرفت العلامة عبد الله التل ، وهارون هاشم رشيد . وفي بيروت الدكتور عمر فروخ ، ويوسف أسعد داغر ، وفي العراق العلامة الشيخ بهجت الاثري . وفي الشام الأمير مصطفى الشهابي . وفي المملكة العربية السعودية تتبعت آثار العلامة حمد

الجاسر ، عضو المجمع اللغوي ، والمؤرخ عبد القدوس الانصاري ، وأمير الكتب الشيخ محمد نصيف ، والأديب عبد الله ادريس ، وغير هؤلاء عشرات لا أحصيهم .

وما تزال مكتبة السيد محب الدين الخطيب وشخصيته من أبرز المصادر الحية في مجال الثقافة العربية الاسلامية ، فهو قطعة من التاريخ العربي الحي ، في دار « الفتح » بالفسطاط ، حيث المطبعة السلفية منذ أربعين عاما ، ومكتبته شيء مهول ، ليس من ناحية العدد وحده ، ولكن من ناحية الفنون والكتب النادرة . ولا ننسى هنا مكتبة عزيز خانكي الضخمة ، وكان ابنه جميل خانكي يصدر بين حين وحين كتابا أنيقا يطبعه ، ويوزعه مجانا على من يطلبه . وهنا ساطع الحصري ولديه (سحاحير) مليئة بالكتب ، يجمعها منذ أوائل القرن . وللعلامة « سليم حسن » مكتبة رائعة في الاثريات ، وقد أصدر بضعة عشر مجلدا من كتابه « تاريخ مصر القديمة » .

° ° °

وفي مجال الشعر ما يزال أحمد رامي رمزا على الجيل الذي برز بعد العشرينات ، واتجه الى الفن . وهناك « يونس القاضي » هو بقية هذه المدرسة من كتاب الزجل والمسرح ، التي كان يتزعمها بديع خيري ، وبيرم التونسي . وهناك نوع آخر انقرض بوفاة « محمد مصطفى حمام » ، الذي عرف بشعراء المشهورات ، وكان من أعلامه حسين شفيق المصري .

وما يزال الدكتور طه حسين ، والدكتور صبري ، والأستاذ الزيات من أكبر أدباء العصر سنا ، فكل منهم اليوم فوق الخامسة والسبعين . وقد استطاع الدكتور صبري بجلد يحسد عليه أن يجمع لشوقي أربعة آلاف بيت من الشعر كانت مطوية في الصحف القديمة ، أخرجها وجمعها في مجلدين كبيرين .

وفي مجال المخطوطات وتحقيقها ما يزال الثالوث الممثل في أبي الفضل ابراهيم ، وابراهيم الابياري ، وعبد السلام هارون يعمل في نشاط وقوة وحيوية . أما في الأزهر فما زال الرجلان النابهان عبد الجليل عيسى ، وعبد اللطيف دراز يعملان — وهما فوق الثمانين — الأول يفسر القرآن ، والثاني تجده في دار الشبان المسلمين دوما ، يتحدث عن قضايا العالم الاسلامي التي عاصرها منذ الثلاثينات وشارك فيها واستقبل أغلب زعمائها في العالم العربي الاسلامي وتحدث معهم ، ولديه من هذا التراث ثروة عظيمة .

وفي ندوات القاهرة تمت لقاءات نافعة للدراسات الأدبية ، في ندوات أحمد حسين المحامي ، وكامل كيلاني ، والعقاد ، وجميلة العلايلي ، وجاذبية صدقي ، ورابطة الأدب الحديث ، ونادي القصة .

وما زلت أذكر انني التقيت في ندوة جاذبية صدقي بالدكتور هيكل قبل وفاته بقليل ، وذاكرته في آثاره القديمة وانتفعت كثيراً بتفهم اتجاهاته الفكرية في دفاعه عن الاسلام والروحية ، واعتباره هذا مصدرا للبعث في الشرق . وكانت لي مع الدكتور زكي مبارك صداقة وطيدة ، كان هو صاحب الفضل فيها .

ومن خلال جلسات طويلة مع كامل كيلاني ، ومحمد صبري ، وخليل ثابت ، وطه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، والشيخ درازه ، والشيخ عبد الجليل عيسى امتد وجودي الفكري بالزمن الطويل ، كأنما عشت ما عاشوا ، وأفدت من تجارب وأحداث حيوات هؤلاء الادباء والاعلام .



الجزع أتعب من الصبر

يروى عن بعض الحكماء وقد رأى رجلا أصيب بمصيبة عظمت عليه أنه قال : الجزع أتعب من الصبر . ففي الجزع التعب والوزر ، وفي الصبر الراحة والأجر . ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر أحسن صورة ، وأكرم طبيعة . وكان الجزع أقبح صورة ، وأخبث طبيعة ، ولكن الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم السجية .

اني رأيت وفي الأيام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في شيء يؤمله   واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

الكرم

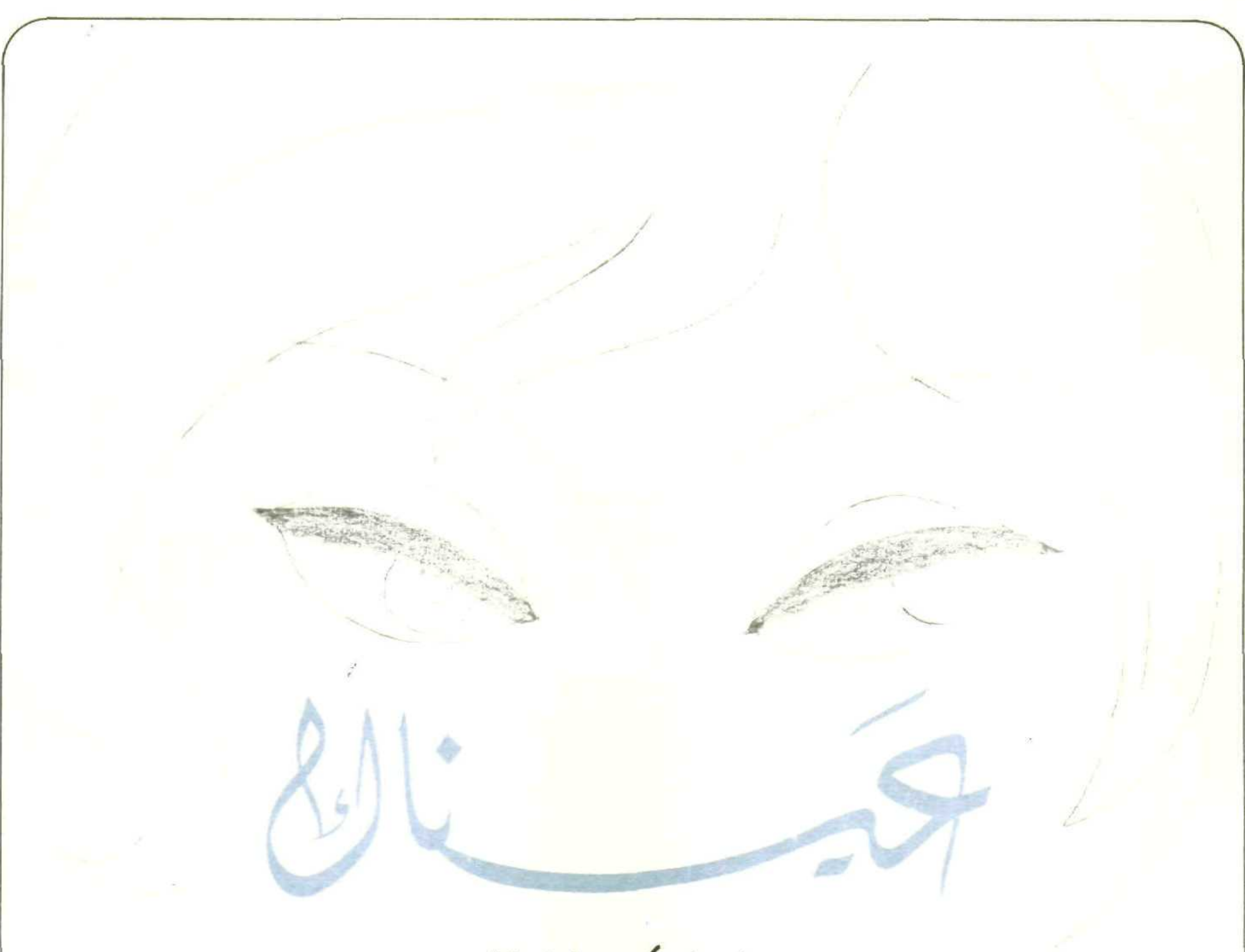
الكرم هو بذل المال بغير اسراف ، والتصرف الحسن بغير اتلاف ، وهو أشرف وصف يتزين به الانسان ، وأجمل أثر يكسب صاحبه الثناء مدى الأزمان ، وقد حث على التحلي به أولو النفوس العلية ، وحض على التخلق به ذوو الأخلاق المرضية . فقد قيل : ذللوا أخلاقكم للمطالب ، وعودوها على المحامد ، وعلموها المكارم ، وتحلوا بالجود ، يلبسكم ثوب المحبة . فمن جاد ساد ، ومن ساد شاد ، وخير المال ما أفاد حمدا ، ونفى ذما ، وصان عرضا ، وأدّى فرضا .

الصدق

الصدق هو أن تنبئ عن الشيء على ما هو عليه . وهو وصف يدعو اليه الدين والعقل والمروءة وحب الثناء ، والاشتهار بالفضائل ، فلا مزية أجمل منه ، ولا سجية أكمل منه ، ولا عطية أشرف منه ، ولا سمعة ألطف منه ، ولا أثر أنفع منه . والكذب من أقبح الرذائل ، وأسوأ الوسائل ، صفة لؤم وشؤم ، بل عادة دنيئة رديئة ، تؤوب بالعار والشنار والهلاك ، فمن الكذب ريبة ، والصدق طمأنينة .

آداب المجالس

اذا جلست فاقبل على جلسائك بالبشر والطلاقة ، وليكن مجلسك هادئاً ، وحديثك مرتباً ، والتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب ، فمن حسنت آداب مجالسته ، ثبتت في الأفئدة مودته ، وحسنت عشرته ، وكملت مروءته .



للشاعر الدكتور عارف قياسة

عيناك .. ما هاتان عينان ... بل في ظلام الليل نجمان
بل غابة أرخت غدائرها ... المعطار في أعماق وجداني
وسفينتان على شراعهما ... طاب السرى في عالم ثاني
عيناك .. ما هاتان عينان ... بل لوحة من وحي فنان
وجزيرة في البحر ضاحكة ... تمتد راحتها لربان
عيناك والأهداب مسبلة ... لبعيد أحلامي جناحان
بهما أطير وفي ظلالهما ... فوق الهموم أجرّ نسياني
عينان ، ما أنصفت ! انهما ... من كوثر الفردوس نبعان
أسقى رحيقا من كؤوسهما ... وأظل في غصات ظمآن
يا جدول الأجفان أي هوى ... في ضفتيك ، وأي تحنان ؟
ما في بحار الأرض أجمعها ... ما فيك من در ومرجان

بقلم الاستاذ الغزالي حرب

حاول الأدباء والنقاد قديما وحديثا أن يعرّفوا لنا الخيال تعريفا جامعا – على حد تعبير المناطقة – بيد أن محاولتهم انتهت الى اعترافهم بأن تعريف الخيال عسير ، مصداقا لقول « رسكن » : « ان حقيقة الخيال غامضة صعبة التفسير ، وينبغي أن يفهم في آثاره فحسب » . ورغبة منهم في تقريب معنى الخيال قسّموه الى ثلاثة أقسام : خيال ابتكاري ، وخيال تأليفي ، وخيال بياني أو تفسيري . فالخيال الابتكاري يعنون به ذلك الخيال المبدع الذي يخلق من العناصر الأولى صورة جديدة للشيء المتخيل ، والخيال التأليفي هو الذي يؤلف بين أجزاء الصورة أو الصور الحسية تأليفا يكشف عن أثرها في نفس الأديب أو الشاعر ويبلغ بهذا الأثر موضعه الملائم من نفس القارىء أو السامع . وأما الخيال البياني أو التفسيري فهو الذي يفسر به الشاعر أو الأديب ما يدور في نفسه أو يقع تحت حسّه تفسيرا ينفخ فيه من روحه وينفض عليه من مشاعره ، فاذا هو صورة حية رائعة .

وهذا الخيال البياني هو الخيال الغالب على أدبنا العربي الذي يرميه بعض النقاد ، ومنهم الدكتور أحمد أمين في كتابه « النقد الأدبي » ، بضعف الخيال لقلة ما فيه من قصص وأساطير . وفي الدفاع عن خيال الأدب العربي وروعته يقول الدكتور طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ما نصه : « خصوم القديم وأنصار الحديث يزعمون أن الأدب العربي كان حسنا في عصره ، وأصبح الآن غير ملائم ، ذلك لأن هناك فنونا من الأدب لم يعرفها الأدب العربي . فالشعر العربي فقير بالنسبة الى الشعر الأجنبي ، فليس فيه شعر قصصي ولا تمثيلي كما كان عند اليونان . واذن فلا بد من العدول عن هذا الأدب القديم الى الأدب الحديث .. وهذا غريب . فلست واثقا كل الثقة من أن الأدب العربي يخلو من القصص ، وأخشى أنّ من يجحدون وجود الأدب القصصي عند العرب ، انما يجحدونه لأنهم لم يحققوا بالضبط معنى الأدب القصصي ، فالذين يقرؤون الشعر الجاهلي أو ما صح منه ، والذين يقرؤون الشعر الأموي كشعر جرير والفرزدق والأخطل يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر موجودة في الشعر العربي . فاذا لم توجد عندنا « اليـاذة » أو « أوديسا » ، فليس من شك أن ما أدته الالياذة والأوديسا قد أداه لنا الشعر القديم من تصوير الحياة الاجتماعية وتصوير حياة الأبطال . ثم من الذي يستطيع أن ينكر أن في أدبنا العربي القصصي جمالا ليس أقل من جمال الالياذة والأوديسا ؟ وليس ذنب الأدب العربي الا يقرأه الناس ولا يعرفوه . أي الأدباء عني بقصص أبي زيد وعنترة وما اليه من الأقاصيص الكثيرة التي تعنى بها العامة ؟ أيكم يدرسه مضطر الى أن يعترف أن للأدب العربي من هذا الجمال الفني الرائع ما لا يقل عن الالياذة والأوديسا . »

ولما دفع طه حسين تهمة ضعف الخيال عن أدبنا العربي القديم لخلوه من الملاحم والمسرحيات واقتصاره على الفن الغنائي ، دافع الأستاذ العقاد عن هذا الأدب فخورا بأن « فيه آيات قليلة النظائر بين المأثور عن أعظم الشعراء الغربيين المتقدمين أو المتأخرين ، ولا سيما المنظوم منه في باب التشبيه والمثل السائر وجوامع الكلم من صميم الحياة . وقد تمثل بعض النقاد الغربيين بما يعدونه من « معجزات » التشبيه في وصف « دانتي » لمناظر الفردوس والجحيم ، وانك لتقارن بين هذه المعجزات وبين التشبيهات المطروقة أحيانا في وصف ابن الرومي أو البحتري أو امرىء القيس مثلا ، فلا ترتفع بها الى مرتقى أرفع من تمرينات الأطفال ! »

على أن الأخيلة الشعرية في الأدب اليوناني وغيره من الآداب الأجنبية قد تكون أكثر وأطول من الأخيلة الشعرية في أدبنا العربي ، ولكن هذه الأخيلة في أدبنا العربي أعمق وأعرض وأروع وأقدم . فقبل أن يحدثنا غوته في مسرحية « فاوست » عن مسيس حاجة العالم – أيا كان علمه – الى الاستزادة من العلم « وكأنه تلميذ مبتدىء » قال أبو العلاء المعري في لزومياته :

وعالمنـا المنتهـي كالصبي
قيل لـه في ابتداء : تهجّ

وقبل أن يعبر « شكسبير » و « لامرتين » عن تخيلهما للشعر في أدبهما ، وقبل أن يتخيله « شللي » (هائما وحده من غير رفيق) ، قبل هؤلاء جميعا تخيل شعراؤنا العرب القدامى القمر في مختلف أحواله ، ووصلوا بينه وبين الحبيبة بمثل قول المتنبي :

واستقبلت قمر السماء بوجههـا
فأرتني القمرين في وقت معا

كما وصلوا بينه وبين تواضع العظماء بمثل قول البحتري :

دانٍ الى أيدي العفاة وشاسع
عن كل نـدّ في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العلوّ وضوءه
للعصبة السارين جـد قريب

واعتبروه مثلا أعلى في عموم الفضل وشمول النفع بقول أبي الطيب مادحا :

كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدى الى عينيك نورا ثاقبـا

ولكم يروقني هنا قول الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » : ان الشاعر الفرنسي « فيكتور هيجو » قد وصف الهلال بأنه « منجل ذهب » ، فأعجب به الفرنسيون أيما اعجاب ، ومن قبله بمئات السنين شبه ابن المعتز الهلال بـ « منجل فضة » ثم لم يقف عند هذه الصورة العامة مكتفيا بها – كما صنع هيجو – وانما أضاف اليها تشبيها أن السماء حقل من نرجس لا من نجوم ، وأن هذا المنجل الفضي يحصد نرجسها بأضوائه وأنواره ...

أنظر الى حسن هلال بـدا
يهتك مـن أنواره الحنـدسا

الخيال في الأدب العربي القديم

كمنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجى نرجسا

وكلنا نذكر البيت الآخر المشهور لابن المعتز في وصف الهلال أيضا :

أنظر اليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

وهذا الهلال الذي شبهه ابن المعتز مرة بمنجل الفضة ومرة أخرى بزورق فضة ، شبهه مرة ثالثة بالقلامة التي قدّت من الظفر قائلا من أبياته الرائعة التي وصف بها لقاءه بحبيبه في دير عبدون :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا
مثل القلامة قد قدّت من الظفر

وقبل أن يقص علينا الشاعر الفرنسي « ألفرد دي فيني » (Alfred de Vigny) ما دار بينه وبين الذئب الذي استعان على قتله بأربعة من أصحابه الأشداء المسلحين ، ومعهم أحد الكلاب الضارية ، قص علينا شعراؤنا الثلاثة القدامى الفرزدق في العصر الأموي ، والبحتري والشريف الرضي في العصر العباسي ، ما دار بين كل منهم وبين الذئب الصحراوي الضاري ، بأساليب خيالية رائعة شهد النقاد المنصفون لها بعظمة رصيدها من الحركة والقوة والحياة ، وحسبنا منها هنا قول الفرزدق يجمع بين الذئب والغدر على ثدي واحد :

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيّين كانا أرضعا بلبان

وقول الشريف الرضي يشمت بذئبه عقب مصرعه :

لك الويل من مستطعم عاد طعمه
لقوم عجال بالقسيّ النوازع

وقول البحتري الذي لم تكد تفوته شاردة أو واردة من المعركة الرهيبة بينه وبين الذئب :

عوى ثم أقعى وارتجزت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقضّ والليل مسودّ
فما ازداد الا جرأة وصرامة
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها
بحيث يكون اللبّ والرعب والحقد

وقبل أن يلهج علماء أوربا وأدباؤها بما يدعونه « مركب النقص » و « مركب العظمة » ، عبّر أدبنا العربي عن « مركب العظمة » بقول أبي تمام من رثائه لمحمد ابن حميد الطوسي :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كِبرا أن يقال : به كِبْرُ

كما عبر أدبنا العربي نثرا وشعرا عن « عقدة النقص » بقول أبي العلاء المعري :

لو لم تكن في القوم أصغرهم
لبان منك عليهم الكبر

ولما رواه ابن عبد ربه في الجزء الأول من « العقد الفريد » قائلا : « وقف الأحنف بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن للأحنف ثم أذن لابن الأشعث ، ولكن ابن الأشعث أسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف المأذون له في الدخول قبله . فلما رآه معاوية غمّه ذلك وأحنقه ، فالتفت اليه قائلا كلمته الواعية الرائدة الملهمة : « والله اني ما أذنت له قبلك ، وأنا أريد أن تدخل قبله . وانّا كما نلي أموركم نلي آدابكم ، ولا يزيد متزيّد في خطوه الا لنقص يجده في نفسه ! »

وقبل أن تعرف أوربا الطواحين التي تديرها التيارات المائية الجبارة ، تخيّل شاعرنا العربي العريق الوأواء الدمشقي مدامعه الغزيرة التي تستطيع بجبروتها ادارة الرحى ، فقال بيته الرائع الذي تراه في الجزء الأول من « معاهد التنصيص » :

ولو نصبت رحى بازاء دمعي
لكانت من تحدّره تدور

وقبل أن يلهج علماء النفس المحدثون بما يدعونه « أحلام اليقظة » ، عبّر شاعرنا القديم أجمل تعبير عن هذه الأحلام ببيته المشهور :

مُنى ان تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقبل أن يعبّر الشاعران الفرنسيان « راسين » و « ألفرد دي موسيه » عن خوالج النفس ولواعج الغرام ، عبّر عن ذلك أجمل تعبير شاعرنا الأموي عمر بن أبي ربيعة بقصيدته الدالية المشهورة التي منها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

وقبل أن يجسّم الفيلسوف الألماني «نيتشه» فلسفته في فكرة « الاستعلاء » ، فكرة « السوبرمان » أي الانسان المثالي أو المتفوق ، عبّر المتنبي وأبو فراس الحمداني عن هذه الفكرة أقوى تعبير شعري بقول المتنبي :

واني لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنَفٌ أن تسكن اللحم والعظما

وقول أبو فراس الحمداني :

وانا لقوم لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

وقبل أن تعرف أوربا فن « الكاريكاتور » في أدبها وصحافتها عرفه أدبنا العربي نثرا في تفنن أبي عثمان الجاحظ في السخرية من « البخلاء » ، والتهكم اللاذع في « رسالة التربيع والتدوير » .

وهكذا نرى أن الأدب العربي قد تضمن الكثير من الأمثلة التي تنم عن القدرة التخيلية الفائقة والعبرة بالكيف قبل الكم ، والعرض قبل الطول . وحسب شعرنا العربي فخرا واعتزازا انه اجتاز بأخيلته الوثابة مئات الأعوام حيث عبر عن كثير من أحدث المعاني وأسماها مما لم يعبر عنه الشعر الأجنبي الا منذ عهد قريب ، وشتان بين تعبير وتعبير ، وبين خيال وخيال .



الأدباء الذين شاركوا في هذه الندوة وهم (من اليمين) الشاعر عبد الرحمن العبيد ، القاص خليل الفزيع ، القاص ماجد أبـو شرار ، القاص الأديب لقمان يونس والشاعر عـلي عويضة ، وكاتب هـذه السطـور .

حول القصة القصيرة والرواية والشعر

في لقاء ضم لفيفاً من أدباء المنطقة الشرقية ، طرحت على بساط البحـث والمناقشة أسئلة تتعلق ببعض القضايا الأدبيـة ، المعاصر منهـا والقديم ، وقـد تناولها الأدباء الحاضرون مـن وجهات نظـر متفقة حينا ، ومتباينة حينا آخـر ، لكنها بالاجمال جادّة ورصينة وتفتح حوارا يسعد القافلة أن تدعـو للمشاركة فيه ، بقصد المساهمة فـي ايجاد منـاخ أدبي ، يواكب النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة العـربيـة السعودية فـي هذه الحقبة مـن تاريخها الحافـل .

وعلى الرغم مـن أن المنطقة الشرقية عرفت العديد مـن حملة الأقلام المتازيـن ممن نشأوا فيها ، أو وفـدوا اليها بحكم وظـائفهـم وأعمالهم ، فـإن ندوتنا هـذه ، ضمت خمسة مـن أدباء المنطقة وهـم الأساتذة : لقمان يونس ، وعـلي عويضة ، وماجد أبـو شرار ، وخليل ابراهيم الفزيـع ، وعبد الرحمن العبيد ، وكلهم قصاص أو شاعـر ، نشر الكثير من انتاجه عـلى صفحات المجلات والصحـف والجرائـد السعوديـة والعربية أيضـا ، وللأستاذ لقمان يونس العديد مـن المؤلفات القصصية والأدبيـة المطبوعة ، كما أن للأستاذ عـلي عويضة ديـواناً مطبوعاً ، وهـو من الأعضاء المؤسسين في أسرة الوادي المبـارك في المدينة المنـورة .

وقـد كانت القصة القصيرة فاتحة البحث فـي هذه النـدوة الأدبية .

في القصة القصيرة

• هل لحضرات الأدباء أن يعطوا قراء القافلة فكرة عن « القصة القصيرة التقليدية » و « القصة القصيرة الحديثة » ، من حيث المدلول والأسلوب والمحتوى .

لقمان يونس : القصة القصيرة لون واحد . وهي تتحدث عن قطاع واحد من الحياة ، وذات هدف واحد ، ولا تأخذ حيزا كبيرا . كما تختلف باختلاف ميول الكتاب الأدبية ومدارسهم : كمدرسة الفن للفن ، والمدرسة التصويرية ، والمدرسة الواقعية ، وغيرها .

ماجد أبو شرار : القصة التقليدية هي القصة التي تطرح مشكلة معينة ، وغالبا ما تنتهي الى ايجاد حل لهذه المشكلة . أما القصة الحديثة فانها تتحدث عن مشكلة ما ، بمزيد من التكثيف ، تاركة للقارىء دورا فعّالا في طرح الأسئلة ، بقصد ايجاد الحل الذي يرتئيه مناسبا لتلك المشكلة . وهي في رأيي أعم فائدة وأجمل وقعا من القصة التقليدية ، التي تعطي المشكلة والحل في آن واحد .

خليل الفزيع : هناك خطوط رئيسية تفصل بين القصة التقليدية والقصة الحديثة . فالقصة التقليدية تعتمد على عناصر معينة ، كالحدث والشخصية والبيئة والأسلوب ، وهي غالبا ما تكون محدودة بزمان ومكان معينين ، كما أنها ذات هدف . أما القصة الحديثة فقد لا تتوفر فيها جميع هذه العناصر ، بل يكتفي الكاتب بعنصر — أو أكثر — يستطيع من خلاله أن يجلب اهتمام القارىء ، وأن يجعله يتفاعل معه .

عبد الرحمن العبيد : القصة القصيرة أثر أدبي ، وهي ، على شمولها ، تحدد بفواصل وحدود معينة ، وأعتقد أن ما ذكره الأساتذة يوضح ماهية القصة التقليدية والقصة الحديثة بشكل مرض .

علي عويضة : ماذا تقصدون « بالقصة التقليدية »؟

ماجد أبو شرار : القصة التقليدية ، هي تلك التي تتحدث عن مشكلة معينة ، وتضع حلا لها ، وسميت تقليدية لأنها تعالج موضوعا مطروقا بشكل معروف ومتداول .

علي عويضة : القصة هي معان تختلج في نفس كاتبها ، فيعبر عنها بشكل فني يجعل القارىء يتفاعل معها ويستفيد من قراءتها .

• ماهي ألوان « الحدث » في القصة القصيرة وهل يجدر بكاتبها أن يخطط لها قبل الشروع بالكتابة ، أو يجعلها تتنامى أثناء السياق ؟

خليل الفزيع : تعتمد القصة القصيرة على حدث واحد ، لا أحداث . وأتصور أن المهم في الأمر ليس لون الحدث ، بل مقدرة الكاتب على ابرازه في الاطار المناسب ، وضمن خطة مسبقة .

ماجد أبو شرار : الواقع أن القصة القصيرة ليست نظرية تحتاج الى قواعد ثابتة وتخطيطات مسبقة . وان جاز أن يكون هنالك تخطيط ما ، فيجب أن ينصرف الى الاهتمام بالحدث الرئيسي في القصة . أما الأحداث الصغيرة الأخرى فيجب أن تترك لتتنامى تلقائيا حول الحدث الرئيسي ، وهي ، في رأيي ، لا تحتاج الى تخطيط مسبق أبدا .

لقمان يونس : يختلف الأمر في هذه الناحية ، حسب طبيعة القاص وحالته النفسية ، فكثيرا ما تكون لدى الكاتب فكرة معينة تظل تطنّ في « أذن ذهنه » — ان جاز هذا التعبير — حتى يبرزها الى حيز الوجود . يقول « سومرست موم » في هذا المعنى : « تظل الفكرة تطاردني حتى أدرجها ، في قصة ، أو في عمل أدبي ما . » وكثيرا ما يحدث أن يشرع القاص في كتابة فكرة معينة ، فيجد نفسه ينتهي الى فكرة أخرى غيرها .

خليل الفزيع : أنا مع الأستاذ لقمان في هذا ، فكثيرا ما يخطط القاصّ لقصة ، فيخرج بقصة أخرى ، بخلاف تخطيطه .

لقمان يونس : أبدأ أحيانا مشروع قصة ، ثم أنشغل عنه ، وتجدّ لي فكرة ، فأعود فألبسها حلة مشروعي السابق ، وأخرج بنتيجة لا بأس بها . أما الحدث فهو نابع من نفسية القاصّ ، وهو يختلف باختلاف مزاجه ، لذلك تكون أعماله « درامية » أحيانا ، « وكوميديّة » أحيانا أخرى .

• هل يجدر بكاتب القصة أن يكون موجّها دائما ؟

خليل الفزيع : يجب أن تكتب القصة ليستنتج منها الهدف ، لا للهدف ذاته . ومن هنا أستطيع القول بأنه لا يشترط في القاصّ أن يكون موجّها دائما .

لقمان يونس : هنالك مدرستان تتناولان هذه المسألة . فالمدرسة التي ينتمي اليها « أوسكار وايلد » تدعو الى أن تكون وظيفة الفنان جمالية تماما . أما المدرسة الثانية فهي تدعو الى أن تكون وظيفة الفنان وظيفة اصلاحية ، وأن يكون الفنان بالنسبة لمجتمعه كشرطي المرور راصدا ، وضابطا ، ومحافظا على القيم ، لكن ليس عن طريق الوعظ ، وانما بأسلوب ، وحنكة ، وبراعة تكرّس كل ما هو جميل وقيم ، وتبعد كل ما هو قبيح وتافه .

علي عويضة : ان عبر الأديب عن قصصه بصدق واخلاص فان عمله سيكون هادفا بلا شك ، سيما اذا كانت قصصه واقعية . وفي هذه الحالة ينتفع المجتمع بالقاصّ كما ينتفع الناس بالطبيب البارع .

خليل الفزيع : أنا أختلف مع الأخ علي في أن القاصّ يجب أن يكون كالطبيب ، لأنه يجدر به أن يشخص أمراض مجتمعه ، وأن يترك أمر علاجها لذوي الاختصاص .

علي عويضة : هنالك قصص كثيرة تعالج مشكلات معقدة ، وهي من الجودة والتقدير بمكان .

ماجد أبو شرار : تنبثق عن الحياة مشكلات متشابكة ، ومهمة القاصّ هي أن يعالج هذه المشكلات واحدة واحدة ، وأن يصوّرها بتفهم وصدق ، ويضعها أمام أولئك الذين يملكون القدرة على الرؤيا العميقة الجلية ، ليتعرفوا اليها ويواجهوها كما يحلو لهم .

عبد الرحمن العبيد : أؤيد رأي الأستاذ ماجد في أن يترك أمر معالجة مشكلات المجتمع لذوي الاختصاص . أما الكاتب فإنه يؤدي رسالته على الوجه المطلوب منه اذا استطاع أن يعرض الأمور عرضا موفقا ، بحيث يستطيع الآخرون أن يأخذوا منه العظة والعبرة . أما الإصلاح فيكون نتيجة لذلك كما أعتقد .

علي عويضة : أنا معكم في هذا ، فما دام الأديب مدعوا لعرض مشكلات مجتمعه بصدق وعمق وتفهم ، فإن ذلك في حد ذاته اسهام من جانبه في الاصلاح .

• ما رأي السادة الأدباء باستعمال العامية على ألسنة أبطال القصص ؟

علي عويضة : اذا كانت الكلمات العامية محدودة وضرورية لطبيعة القصة ، فلا بأس باستعمالها ، على أن توضع بين قوسين . أما اذا كانت كثيرة وغير ضرورية ، فهي ولا شك تفقد القصة قيمتها .

ماجد أبو شرار : لا بد وأن نقرر أن هنالك مواقف لا يمكن التعبير عنها الا بلهجة شخوصها الحقيقية . فلا يجوز مثلا أن نجعل صبي المقهى في احدى القصص ينطق بلغة الجاحظ



خليل الفزيع : «ليس المهم لون الحدث في القصة القصيرة بل مقدرة الكاتب على ابرازه في الاطار المناسب».

أو ابن المقفع ، كما أن هنالك مشكلات تنبثق عن بيئات لا ينطق شخوصها الا بالعامية ، وهنا يجد القاصّ الصادق نفسه ملزما باستعمال العامية في معظم الحوار الذي يدور في قصته وأفضل ما أراه لتجنب استعمال العامية هـو أن يتحاشى القاصّ أسلوب الحوار ، وأن يعتمد على أسلوب الرواية عن شخوصه بلغته هو ، وهي الفصحى بالطبع ، لا بلغة أولئك الشخوص .

خليل الفزيع : ان الذين يقبلون على قراءة القصة يعرفون الفصحى بلا شك ، ولكنهم قد لا يعرفون مختلف اللهجات العامية ، وهي كثيرة كـمـا نعلم . ولذا فلا داعي لاستعمال العامية عـلـى ألسنة شخوص القصة ، شريطة أن تحل محلها « الفصحى المبسطة » التي تتناسب ومستويات أولئك الشخوص ، ويعرفها جميع القراء على تباين لهجاتهم .

لقمان يونس : حيرت مسألة الحوار كتّاب القصة القصيرة منذ بداية النهضة الأدبية ، وأنا لا أشجع استعمال العامية ، لأن هذا يفضي باللغة العربية الى تكريس مختلف لهجاتهـا كلغات منفصلة . تماما كما حدث في اللغة اللاتينية ، التي درست وحلت محلها عشرات من مشتقاتها . وتوفيق الحكيم ، وقد خبر استعمال العامية في بعض انتاجه ، والتزم الفصحى في بعضه الآخر ، خرج بنتيجة ممتازة ، وهي استعمال « الفصحى المبسطة » في الحوار القصصي . وفي مقدمة « الصفقة » عرض توفيق الحكيم طريقة استخدام « الفصحى المبسطة » عرضا جيدا ، يمكن القارىء الرجوع اليه . ومع أن استعمال الفصحى في الحوار أمر خطير ، لأنه اذا ما شابه الافتعال والتقعر يفقد الحوار قيمته ، الا أنه اذا استخدم بتفهم ودراية يرقى بالقارىء العادي الى مستوى الفصحى .

عبد الرحمن العبيد : لا أرى استعمال العامية في العمل الأدبي ، أيا كان ، أمرا مقبولا . ودعوة الكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم الى استعمال « الفصحى المبسطة » ما هي الا أولى درجات السلم نحو رفض الكتابة بالعامية رفضا تاما . ولكني أرى أن استعمال العامية في نطاق ضيق للأعمال المذاعة محليا ، وفي نطاق بيئي معين ، أمر قد يتجاوز عنـه .

● هل لكم أن تعطوا القراء فكرة موجزة عن « الحوار الذهني » في القصة القصيرة خاصة عندما يبدؤه الكاتب من لحظة حاضرة ، ليسترسل به في لحظة مستقبله ؟ وهل تعتبرون ذلك تكهنا جادّا قيما ، أو مجرد سرحان ذهني قد يربك القصة ويعرقل سير الأحداث فيهـا ؟

ماجد أبو شرار : أرى أن القصة القصيرة لا بد وأن تعتمد أحيانا على ما يسمى بالحوار الذهني ، الذي يمكّن القاصّ من استجلاء أمور ملحّة ، ليس من السهل استجلاؤها عن طريق الحوار المفتوح . وهو غالبا ما يكون محاولة جادّة يقصد بها القاصّ تكثيف ما يريد التعبير عنه ، ولذلك فأنا أعتبره استرسالا جادا وبنّاء ، يساعد على تحريك القصة وسير الأحداث فيها .

خليل الفزيع : اذا كان الهدف من استخدام الحوار الذهني هو استعادة أحداث ترتبط بالحدث الرئيسي الذي يعيشه البطل ، فإنه ضروري وملائم . أما اذا جعل البطل ينشغل باستكناه المستقبل ، مغفلا الحاضر ، فانه يصبح مجرد سرحان يربكه ويربك القارىء أيضـا .

لقمان يونس : ان اصرار المعاصرين على اقتباس أحدث أساليب الفن في الغرب وتطبيقها على الأدب العربي ، ترف ذهني لا طائل تحته . فالقراء الفرنسيون مثلا هم غير القراء العرب ، لأن لأولئك ظروفهم ، ولهؤلاء ظروفهم . ومعظم قرائنا لم يعتادوا تذوق تلك الأساليب بعد ، ولذلك فانه ما لم تكن للحوار الذهني ضرورة قصوى ، فانه يغدو ، في نظري ، مرهقا للقارىء ومحيلا بينه وبين تذوق العمل الفني الذي أقبل عليـه .

● هل تعتقدون أن فن القصة العربية القصيرة فن أصيل عرفه العرب ، منذ عرفوا « المقامة » ، أو ربما قبل ذلك ، والى أي حد يجوز لنا أن نعتبر « المقامة » قصة قصيرة ؟

خليل الفزيع : أتصور أن العرب عرفوا فن القصة القصيرة ، ولكن ليس بالشكل الذي هي عليه الآن ، لأن القصة فن حديث حتى في أوروبا . أما « فن المقامة » فهو لون أدبي قائم بحد ذاته ، وهو يختلف عن فن القصة القصـيرة .

ماجد أبو شرار : لا شك أن المقامة تصلح لأن تكون نموذجا جيدا للقصة القصيرة ، وذلك اذا ما أعيد بناؤها ، مع مراعاة ما يجب أن تمتاز به القصة القصيرة الحديثة من حيث المضمون . وانطلاقا من هذا أستطيع القول بأن فن القصة كان معروفا لدى العرب ، وليس جديدا عليهم .

عبد الرحمن العبيد : أشك في أن العرب عرفوا فن القصة منذ زمن قديم ، وأرجو أن يحدد الاخوان نوع القصة التي يقولون أن العرب عرفوها . فأنا أعتقد أن فن القصة فن عرفه العرب حديثا .

خليل الفزيع : حكت أشعار العرب الكثير من القصص . ويشتمل القرآن الكريم على عدد كبير من أروع القصص ، كما توارثنا قصص بطولات وحروب كثيرة .

لقمان يونس : اذا أردنا بالقصة (الحدوثة) فقد عرف العرب هذا الفن ، كما عرفته كل شعوب

الأرض . ولكنا نبالغ اذا قلنا أنهم عوفوا القصة بمفهومها الواضح هذه الأيام . أما المقامات فيمكن العودة اليها كلون شيّق من ألوان الأدب ، يواكب لون القصة القصيرة ، ولا يتداخل معه ، أو يختلط به ، مع مراعاة حسن مضمونها ، لا الوقوف بها عند الشكل الاستعراضي فقط ، الذي يطفو بالقارىء على سطح العمل الأدبي ، دون أن يضعه أمام موضوع جدّي شائق . وهي لا تصلح لأن تكون نواة قصة بالمعنى المفهوم ، لأن لها طابعا آخر يختلف كل الاختلاف عن طابع القصة القصيرة .

علي عويضة : سجلت الأسفار الكثير من الشعر لشعراء ما قبل الاسلام وما بعده ، ولم تسجل قصصا من تلك العهود ، فهل يعود ذلك الى عدم معرفة القوم بهذا الفن آنذاك ؟

• ربما حدث ذلك لأن الشعر كان أسهل للحفظ والرواية . أما القصة التي قد تطول ، وقد تقصر حسب موضوعها ، دون أن تخضع للوزن أو القافية كما هو الحال في الشعر ، فليست سهلة الحفظ أو التناقل ، وبالتالي فهي لم تحظ بالتدوين ، خاصة في زمن كان يعز فيه وجود القادرين على الكتابة .

خليل الفزيع : يبقى ذلك مجرد تكهن يعوزه الدليل ، وأنا لا أعتقد أن العرب عرفوا فن القصة كما نفهمه الآن . والأوروبيون الذين سبقونا الى معرفته ، ما تم لهم ذلك الا حديثا .

في الرواية

• هل يطالب الروائي بأن يعرض عالما مطابقا للواقع دائما ؟

خليل الفزيع : ليس الروائي مصورا فوتوغرافيا لينقل الواقع بحذافيره ، ولكن عليه أن يستعمل قدرته في الابداع ، واذا اقتضاه الأمر أن يتمرد على الواقع فله أن يفعل ذلك .

لقمان يونس : مع كثرة المذاهب الأدبية في أيامنا هذه ، بدأت تطرأ على الميدان الروائي تجديدات كثيرة . ويرى أصحاب هذه المذاهب الجديدة أن عدم مطابقة العمل الروائي للواقع له ما يبرره . فكما يلون بعض الرسامين المعاصرين ضوء الشمس باللون البنفسجي مثلا ، يعمد الكثير من الروائيين الى تصوير وقائع غير موجودة . وفي قصة « الخرتيت » — وحيد القرن — « ليونسكو » مثل واضح على ذلك ، فهو يتصور أن سكان بلد ما بكاملهم يصبحون حيوانات من ذلك النوع ، وينشغل برصدهم وتصوير مجتمعهم ، وهذا بالطبع مخالف للواقع تماما . ورغم أن « يونسكو » من أعظم الروائيين المعاصرين ، الا أنني شخصيا أميل الى العمل الفني ، الذي يتحدث بصدق عما يدور في حياتنا وواقعنا .

ماجد أبو شرار : لا يشترط في العمل الروائي أن يكون قد وقع فعلا ، ولكن يشترط أن يكون ممكن الوقوع . وعلى الأديب الحصيف الا يتخيل شخوصه ، بل يختارهم من قلب الشارع .

• هل تخرج أقوال بعضكم رواية « كالمسخ »(١) « لفرانس كافكا » من عالم الرواية الجادة ، مع انها تعتبر من أروع ما وصف مشاعر أعضاء الأسرة وعلاقات بعضهم ببعض في السراء والضراء ؟

علي عويضة : هذه رواية لا يقرها الواقع ، لأنها محض خيالية وغير ممكنة الحدوث ، وأنا لا أستسيغ كتابة مثلها ، أو تداوله .

لقمان يونس : الأدب العربي متخم بالاتجاهات الأدبية المألوفة ، ولا داعي للمزيد من اتخامه بما هو غير مألوف ، لأن ذلك لا يكون الا لمجرد اثارة الاهتمام .

• كيف يحدث أن يتسنم روائي ما قمة المجد الأدبي دون روائي آخر ، وما هي مؤهلات الروائي الناجح ؟

عبد الرحمن العبيد : يتسنم الروائي قمة النجاح اذا أتى بانتاج يتسم بالصدق والانفعال ، واذا تم له ارفاد عمله الروائي بخصائص الرواية الناجحة بما تمثله من شخوص وحوار وتصوير أحداث ، تؤخذ منها العبرة دون املاء أو توجيه .

ماجد أبو شرار : على الروائي ، حتى يبلغ النجاح ، أن يسجل أحداث مجتمعه بصدق وشجاعة ، بحيث يغدو عمله الروائي مرجعا يؤرخ لذلك المجتمع . وهذا ما يفعله الآن الروائي العربي نجيب محفوظ والروائي الأمريكي « جون شتاينبك » .

لقمان يونس : يلعب الحظ دوره في هذا المجال ، فكم من كاتب مؤهل بثروة بيانية ولا ينجح ، ولكن ليس معنى هذا أن نغفل المقومات الأدبية الضرورية ، وأهمها صدق الروائي واحترامه قلمه ، واستعداده التام لأداء رسالته نحو مجتمعه ووطنه وأمته .

علي عويضة : الرواية لون من الأدب ، والأدب مرآة تعكس صورة الكاتب ، فإن ظهرت تلك الصورة بمظهر حسن دفعت بصاحبها الى قمة المجد الأدبي . وكم من كاتب ألف عشرات الروايات والأعمال الأدبية ولم يصل تلك القمة ، بينما وصلها آخرون أثر صدور أعمالهم الأولى .

لقمان يونس : عندما ترجم « فيتزجرالد » رباعيات الخيام نفدت جميع نسخ طبعتها الأولى القليلة العدد ، وكادت الأوساط الأدبية



لقمان يونس : «نبالغ كثيرا اذا قلنا ان العرب عرفوا فن القصة بمفهومه الواضح لنا هذه الايام» .

---

(١) تتحدث رواية «المسخ» عن ابن وحيد لعائلة اوروبية ، يكتشف ذات صباح أنه تحول الى حشرة صغيرة ، وترصد مشاعر أفراد عائلته ازاء ذلك .

أن تنساها. لكن بعد وفاته بزمن، عثر أحد المهتمين بالأدب على نسخة من تلك الطبعة، فأعاد طبعها، فكان لعمله ذلك كل الفضل في بلوغ الرباعيات هذا المركز الذي تتمتع به. انه الحظ، يعلب دوره في أغلب الأحيان.

خليل الفزيع: أصبح هنالك دور كبير للدعاية والاعلان في انجاح الأعمال الفنية اجمالا، ومنها الروائية بالطبع.

لقمان يونس: للدعاية دور محدود كما نعلم، فالفرد – على حد قول المثل – يستطيع أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت فقط، ولكنه لن يخدع الناس كلهم دائما.

• ما هي الرواية العربية الأولى في رأيك ان وجدت، ولماذا؟

لقمان يونس: «الرباط المقدس» لتوفيق الحكيم، وذلك لأنها أمتعتني كثيرا.

ماجد أبو شرار: ثلاثية نجيب محفوظ، بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية، وذلك لأنها وثيقة تاريخية حية تتحدث بصدق عن مرحلة معينة عاشها مجتمع الكاتب.

عبد الرحمن العبيد: تمثل مجموعة روايات توفيق الحكيم قمة الانتاج الروائي العربي، لأهمية محتواها ولصدقها التصويري والتعبيري.

خليل الفزيع: بالاضافة الى ثلاثية نجيب محفوظ التي ذكرها الأخ ماجد، أعتقد أن رواية «عودة الروح» لتوفيق الحكيم لا تقل عنها من جميع النواحي.

علي عويضة: «عهد الأندلس(٢)» لجرجي زيدان، وذلك لأنها تعبر بصدق عن واقع ذلك العهد ولأن فيها من الحبكة والروعة ما يسترعي الانتباه.

• ما الهدف من قراءة رواية ما قراءة جادة؟

خليل الفزيع: الاستفادة ثم التسلية.

ماجد أبو شرار: اكتشاف عوالم جديدة والتعرف الى المزيد من الأصدقاء.

لقمان يونس: بالنسبة لي، لقد مررت من هذه الناحية بمراحل عديدة، ففي فجر شبابي كنت أبحث عن الانفعال والمتعة الأدبية. وعندما تقدمت بي السن قليلا، صرت أبحث عن الصورة الصادقة، أما الآن فاني أقرأ حتى أستجلب النوم.. وربما للمتعة الأدبية.

في الشعر

• هل في عالمنا متسع للشعر بعد؟

علي عويضة: بلا شك! فالشعر لا حد له، أقول هذا مع أنني اعتزلت نظمه موقتا، لظروفي الخاصة ومشاغلي الكثيرة.

عبد الرحمن العبيد: الشعر تصوير وتعبير لانفعالات الناس واحساساتهم، وهو انعكاس لعواطفهم. واعتقد أنه مهما طغت المادة، فلا بد من العودة الى ما تعكسه العاطفة.

لقمان يونس: طالما هنالك شعور بالفرح والألم، فلا بد وأن يكون للشعر موضع واسع، بل واسع جدا.

خليل الفزيع: ما دام في عالمنا متسع للانسان، ففيه متسع للشعر.

ماجد أبو شرار: الشعر هو أجمل الأشرعة التي تتلقى زفراتنا، فتمضي بزوارقنا الملّحة في بحر الحياة المتلاطم، لترسو بها في موانيء حانية يغمرها الدفء والسعادة والحبور.

• آسف اذ أخالفكم، فأنا أخشى على شاعر العصر من أن يضع سبابتيه في أذنيه، ليبعد عنهما ضوضاء المادة، وليركض لاهث الأنفاس الى صحراء شاسعة يُسْمع شيحها شعره، لأنه لم يعد في عالم كعالمنا، صاخب أكثر مما يلزم، ومادىّ أكثر مما يلزم، أيّ موضع للشعر!

عبد الرحمن العبيد: الا الشاعر الحق، فهو يستطيع التوفيق بين عاطفته وفكره، والتعبير عن ملامح مجتمعه راضيا مرضيا.

• لماذا أقبل العرب على المتنبي كل هذا الاقبال؟

علي عويضة: لأن شعره من أروع ما قاله شعراء العهد الذي عاش فيه.

عبد الرحمن العبيد: المتنبي علم من أعلام الفكر العربي، لما تمتاز به آثاره المتجددة دائما من جزالة في اللفظ، وسمو في المعنى، وتمثيل لروح البطولة. هذا بالاضافة الى خصائصه التي جعلت من شعره مدرسة تتلمذ عليها الكثير من الشعراء العرب.

خليل الفزيع: لأنه اختصر من جاوْوا قبله، فجاء شعره جامعا بين فروسية عنترة، وجزالة امرىء القيس، ورقة ابن أبي ربيعة.

لقمان يونس: لقد شتمت المتنبي!

خليل الفزيع: معاذ الله، ولكني أقصد أنه اختصر فنون سابقيه، فكان شعره جامعا لما كاد يندثر من فنون الشعر.

عبد الرحمن العبيد: لقد اجتذب المتنبي زمام القيادة بخصائصه الفنية وشموخ فكره.

ماجد أبو شرار: كان المتنبي أكثر الشعراء العرب تجوالا، لذلك كان أغناهم تجربة وأجزلهم شعرا، فكان الاقبال عليه أكثر منه على أي شاعر آخر.

لقمان يونس: كان المتنبي يمثل الطبيعة العربية في شعره، بايجازه وبلاغته ورصانة تعبيره واباء نفسه، الا أن البحتري والشريف الرضي يزاحمان المتنبي على اعجابي، لأني أفضل السلاسة في التعبير، والعذوبة في اللفظ.

• ما هي صفات القصيدة الجيدة؟

لقمان يونس: الاصالة والصدق الفني في الدرجة الأولى.. وأفضّل القصيدة التي تلمس أوتار قلبي!

ماجد ابو شرار: «اقرأ الرواية لأكتشف عوالم جديدة ولأتعرف على مزيد من الأصدقاء».

(٢) «فتح الأندلس»؟



علي عويضة :
« اذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقا ان يقال له شعر »

○ تلك التي تغني للإنسان والحياة .. أو القصيدة التي يحزنك بعد قراءتها أن شاعرها قد سبقك اليهـــا .

لقمان يونس : تماما ، وقديما كان الواحد منهم يقول : « أعطي نصف شعري مقابل هذا البيت » .

عبد الرحمن العبيد : صفات القصيدة الجيدة وضوح خصائصها الفنية من انفعال ، وتعبير صادق ، وتجربة غير مفتعلة .

علي عويضة : القصيدة التي أفضلها هي القصيدة التي تهزني .

اذا الشعر لم يهزرك عنـــد سماعه
فليس خليقا أن يقـــال لـه شعر

ماجد أبو شرار : القصيدة الجيدة هي وليدة الانفعال الصادق العميق ، والتي تأتي كلماتها منسجمة مع صورها ومع الموضوع الذي تعالجه .

○ هل عبر الشعراء العرب المعاصرون عن واقعنا بشكل مرض حتى الآن ؟

عبد الرحمن العبيد : أعتقد أنهم عبروا الى حد ما فقد أدى شعراء العصر كالرصافي ، والزهاوي ، ومطران ، والمهجريين رسالتهم على أتم وجه ، كما أن بعض الشعراء المحدثين ساروا على نهجهم ، رغم وجود نفر منهم لم تكتمل لديه عناصر التجربة ، التي يجب أن تنبثق عن روح العصر .

خليل الفزيع : لم يستطع الشعراء المعاصرون ، مع شديد الأسف ، أن يعبروا بصدق عن واقع مجتمعنا بعد ، فقد ظلّ موقفهم تجاه بعض القضايا دون المستوى المطلوب . وعندما نقول ان الشعراء أدوا أدوارهم فإن مهمتهم تكون قد انتهت . لكنهم في الواقع يشاركون بشكل ضيق في التعبير عن واقعنا ، لأسباب قد تتعلق بهم ، أو بظروف تخرج عن ارادتهم في بعض الأحيان .

علي عويضة : من الشعراء المعاصرين من يختص بنظم الشعر الحماسي ، ومنهم من يختص بالغزل ، ومنهم من يختص بالمدح . فالشعراء الذين دأبوا على نظم الشعر الحماسي ، لا أشك أنهم أدوا رسالتهم على الوجه المطلوب . الا أن شعراء الغزل والمديح لم يؤدوا رسالة عامة للمجتمع ، لأن رسالتهم خاصة تعبر عما يشعر به أحدهم ازاء ممدوحه أو محبوبته . والشعر ذو الفائدة في نظري هو الشعر الذي يؤدي دورا مهما في خدمة قضايانا العامـــة .

لقمان يونس : في هذه الحقبة لا أدري ما هو السبب في عدم وجود تجاوب كاف بين الشعر والجماهير . ففي حداثتي حفظت العديد من القصائد التي تعالج أغراضا مختلفة . بيد أني لا أعتقد أن أحدا من المثقفين العرب هذه الأيام يعنى بحفظ الشعر ، أقصد كما كنا في الأيام الخوالي ، الا فيما ندر ، ويكون ما يحفظه أشتاتا متفرقة .

عبد الرحمن العبيد : «اجتذب المتنبـــي زمـــام القيادة بخصائصه الفنية وشموخ فكره» .



○ ألا تعتقد أن انتقال الشعر من الشكل المسموع أيام كان يعتمد الرواية وسيلة لنشره ، الى الشكل المقروء حاليا كان له أثر في ذلك ؟

لقمان يونس : نعـــم ، ربما يكون هذا هو السبب ، فإن الشعر الحديث يواجه مرحلة انتقال لم تنته بعد ، ولم تستقر . ويبدو لي أن هنالك محاولة لايجاد شعر قريب من الجماهير يحل محل القديم ، الذي يحاول المحدثون زحزحته من مكانه .. وحتى الآن لم يتوصل بعد الى ذلك الشعر المنشود .

ماجد أبو شرار : لا أستطيع الحكم اطلاقا بأن الشعر العربي المعاصر لم يعبر عن واقعنا ، لأن هنالك شعراء عاشوا — وما زالوا — تجارب أمتهم على أحسن وجه ، ولكنهم عندما نقلوا تجاربهم على الورق ، الذي تعاني من كساد ملحوظ ومن عدم اقبال بيّن ، لم يستطيعوا اسماع أصواتهم الى الآذان بشكل واضح ينم عن وجودهم الأكيد .

ولما كان الوقت متأخرا عند هذا الحد ، رؤي أن نتوقف عن البحث على الرغم من أن العديد من القضايا الأدبية المهمة التي تفتح باب الحوار على مصراعيه ، تظل قائمة .

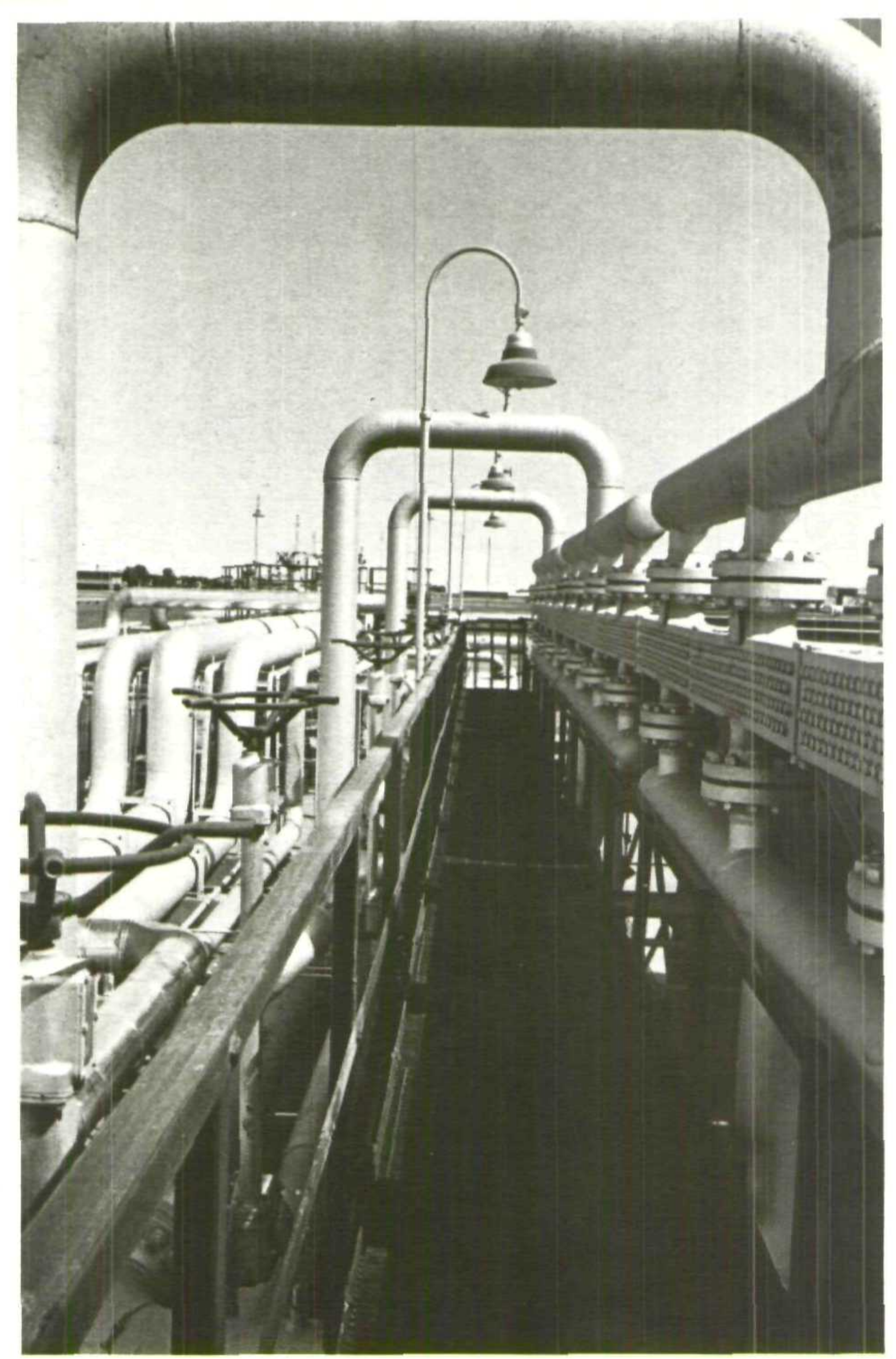
والقافلة اذ تتطلع الى الاسهام في معالجتها في ندوات قادمة ، تشكر السادة الأدباء الذين لبوا دعوتنا لاحياء هذه الندوة .

معمل حقن الغاز في بقيق

الهدير يعلو فيبتلع كل الأصوات الأخرى ، والروائح الثقيلة تنبعث في أرجاء المكان حيث ترتفع حرارة الآلات المدارة بالبخار ، فتلفح الداخل لأول وهلة ، ويضطر المرء الى الصراخ بأعلى صوته ليحيي موظفا لا يبعد عنه سوى أمتار . وما هي الا بضع لحظات حتى يزول الكرب ، وذلك عندما يدخل الزائر الى غرفة مراقبة المعمل المكيفة الهواء ، حيث لا روائح ولا ضجيج .

تواجه الداخل الى غرفة المراقبة في معمل حقن الغاز في بقيق لوحة كبيرة تحمل عشرات الأضواء والعدادات والمفاتيح والمؤشرات المختلفة الألوان والتي تعكس حالة سير العمل في كل جزء من أجزاء المعمل ، مما يمكّن الموظف المسؤول من اتخاذ الاجراءات المناسبة في الحالات الطارئة بسرعة ودراية .

وتتناوب العمل في المعمل أربع فرق تضم كل منها رئيسا ، ومشغلا ، ومشغلا مساعدا ، ويجري العمل فيه ليل نهار بطاقة حقن تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميا تحقن بضغط يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، في الآبار الثلاث المخصصة لذلك في حقل بقيق ، ثالث أقدم حقول الزيت في المملكة العربية السعودية . وهذه الآبار هي البئر رقم — ٦ والبئر رقم — ٥٠ والبئر رقم — ٨٠ ، وتتراوح أبعاد مواقعها عن المعمل بين ١٥ و ١٨ كيلومترا . وقد كانت منتجة للزيت فيما مضى ، الا أنها خصصت منذ بضعة أعوام لحقن الغاز في الحقل المذكور ، ولم تعد تنتج الزيت تبعا لذلك . ومن الجدير بالذكر أن الغاز المحقون فيها ، يتسرب بفعل ضغطه المرتفع الى مكامن الزيت في الحقل بأكمله ، مما يساعد على استمرار تدفق الزيت تلقائيا من مختلف الآبار ، كما أسلفنا . هذا وترتبط الآبار الثلاث بمعمل حقن الغاز بأنابيب خاصة يبلغ قطر الواحد منها ١٢ بوصة ، ولها



منظر للممر الخارجي المؤدي الى أبراج التصفية ، تحيط به أنابيب الزيت والغـــاز .

يتدفق الزيت تلقائيا من الآبار في مختلف الحقول في المملكة العربية السعودية بفعل الضغط الناشيء عن الغازات الذائبة فيه، ولذا فان الحاجة لا تدعو الى استخدام المضخات لاستخراجه . ولكن هذا الضغط يتناقص يوما عن يوم لأن كميات كبيرة من الغازات المصحوبة تنطلق مع الزيت المستخرج . لذلك فقد قامت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) بدراسات دقيقة في هذا المجال نتج عنها تطبيق طرق وأساليب خاصة يمكن بواسطتها المحافظة على معدل الضغط في المكامن وابقاؤه مرتفعا بحيث لا ينخفض مستوى الانتاج . وقد كان حقن الغاز المضغوط في الحقول التي استمر انتاجها لفترة طويلة أحد هذه الأساليب ، اذ أنشأت الشركة منذ بضع سنوات معملين لحقن الغاز أحدهما في عين دار والآخر في بقيق للغرض نفسه . وفي جولة في معمل حقن الغاز في بقيق أتيحت لنا فرصة الاطلاع على مراحل سير العمل في واحد من أهم مرافق الزيت في منطقة بقيق الصناعية .



منظر داخلي للمعمل وتبدو المكابس المتبادلة الحركة المستخدمة في مرحلة ضغط الغاز الأخيرة ، وهي تدار بالكهرباء ، بينما تبدو في أقصى الصورة مكابس رحوية تدار بالبخار .



منظر خارجي لبعض أجزاء المعمل ، ويبدو الى اليمين جانب من أبراج جمع الغاز وتصفيته ، بينما يقوم السيد سعيد محمد الغامدي ، رئيس احدى نوبات العمل ، بضبط كمية الغاز التي يجري حقنها في آبـار الزيـت .

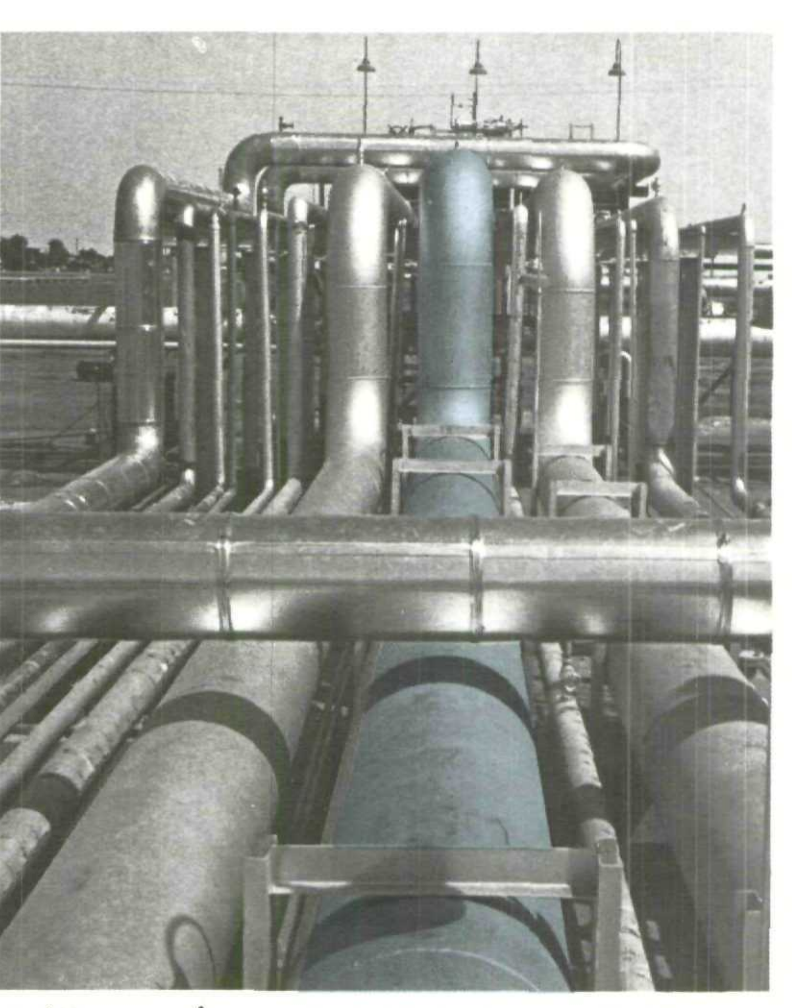
القدرة على تحمل ضغط الغاز المرتفع وحرارته العالية لسنين عديدة .

وفي المعمل ، يجري العمل على ثلاث مراحل ، يمر خلالها الغاز في عدة مكابس رحوية ومتبادلة الحركة ومراوح ضخمة ، وذلك لزيادة ضغطه وتبريده وفصل ما يمتزج به من غازات أخرى أو سوائل أو شوائب ، ودفعه من ثم الى آبار الحقن التي أشرنا اليها آنفا . ففي المرحلة الأولى يصل الغاز من معامل فرز الغاز من الزيت الى معمل الحقن عبر خط أنابيب خاص يبلغ قطره ٢٢ بوصة . وتكون درجة حرارة الغاز عادة أثناء فرزه في معامل فرز الغاز من الزيت حوالي ١١٠ الى ١٣٠ درجة فرنهايت ، بينما يكون ضغطه حوالي ٥٠٠ رطل على البوصة المربعة . لكن ضغط الغاز أثناء جريانه في الأنابيب ينخفض قليلا ، وقد يصبح عند وصوله الى معمل الحقن نحو ٤٠٠ رطل على البوصة المربعة ، واذ ذاك يمرر الغاز في مكبسين رحويين تديرهما طربينات بخارية ، فيرتفع ضغطه الى حوالي ٧٥٠ رطلا على البوصة المربعة ، وتصل درجة حرارته الى ٢٤٠ درجة فرنهايت . ومن ثم ينساب عبر أنابيب خاصة الى مراوح ضخمة تسلط عليه تيارات هوائية تبرده وتكثف الأبخرة الممتزجة به .

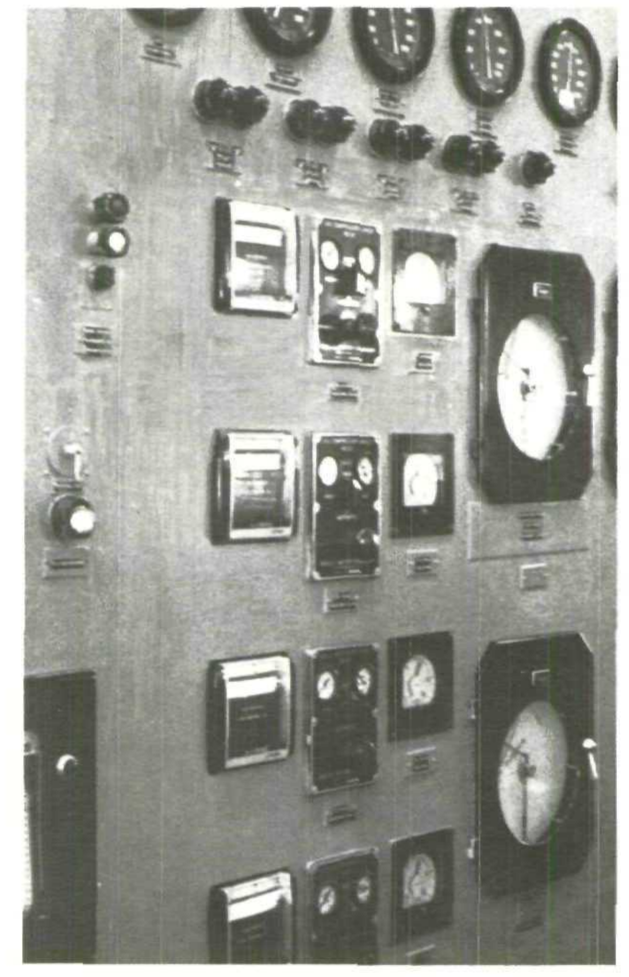
بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية من المعمل فيمرر الغاز في أبراج تصفية (مصافي) أسطوانية الشكل تترسب فيهاالشوائب العالقة بالغاز والسوائل المختلطة به ، لينساب نقيا الى مكبسين رحويين آخرين يرفعان ضغطه من حوالي ٦٥٠ رطلا الى ما يقارب ١٠٠٠ رطل على البوصة المربعة . وتبعا لذلك ترتفع حرارته الى ٢٤٠ درجة فرنهايت . ومن ثم يسير عبر أنابيب خاصة الى مراوح التبريد وأبراج التصفية التابعة لهذه المرحلة . ولدى خروجه منها يمرر عبر أربعة مكابس متبادلة الحركة تديرها محركات كهربائية فيرتفع ضغطه نتيجة لذلك من نحو ١٠٠٠ رطل الى حوالي ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، كما تصل درجة حرارته الى ما يقارب ٢٥٠ درجة فرنهايت . ومن هذه المكابس يندفع الغاز بفعل ضغطه المرتفع الى آبار الحقن الثلاث حيث يتسرب الى المكامن المختلفة . وبذلك تنتهي مرحلة العمل الثالثة في معمل الحقن . وتنتهي معها رحلة الغاز المحقون ، من حيث بدأت ، بعيدا في مكامن الزيت تحت سطح الأرض .

ومما يجدر ذكره أن عملية حقن الغاز ، بالاضافة الى ما ينتج عنها من المحافظة على معدل الضغط في مكامن الزيت ، تعتبر أيضا وسيلة تخزين مأمونة للغاز ، لأنه من السهل اعادة استخراج ما يحقن من الغاز الطبيعي والانتفاع به اذا دعت الحاجة الى ذلك ، أو اذا ازداد الطلب في الأسواق عليه .

ح . ح .



يصل الغاز الطبيعي الى معمل حقن الغاز في بقيق ، عبر أنبوب ضخم (الأوسط في الصورة) يبلغ قطره ٢٢ بوصة .



لوحة المراقبة في المعمل الذي يعمل تلقائيا ، ويشرف عليه في كل نوبة ثلاثة رجال فقط .





للشاعر ضياء الدين رجب

يا فتاة الجزيرة العربية لا تكوني للعابثين ضحية
ان مجد الفتاة أكبر مما صوروه في بهرج المدنية
في السياج الحفي تحميه أهداف : فأما أمنية أو منية
شرف باذخ تتوجه الدهر من الصون هالة عسجدية
فالخدور التي تضم على الحسن عروشا هي الحصون القوية
كاللآلىء المحجبات بجوف اليم مكنونة الجمال نقية
وتحوم الشموس تنهل نهلا من شعاع الحقيقة الأزلية
وتهاب النصال تبرق كالحسن المدجى بالفتنة السمهرية
ذاك مجد الفتاة في عالم الحس وفي مشرق الحياة الأبية
في الحياء الشهي ينبض بالعزة قعساء لا تطيق الدنية

* * *

في الحنان الأبي يبذله القلب لأحلى ثماره الشاعرية
فلذات الحشى وأفلاذه الزغب ومرعى الأمومة العاطفية
لا تغرنك بالخداع العناوين كلمع السراب في سوء نية
ان مجد الفتاة في غرسة النبل سقتها الشمائل النبوية
في الهدى : تستريح في ظله النفس وتنأى عن الشرور الخفية
في بناء الحياة : تشرق بالأسرة فيها الأواصر العائلية
كل من يبتني حضارة بيت مسهم في الحضارة العالمية
عندنا من خديجة المثل الأعلى ومجلى المفاخر الخلقية
آزرت بالحنان والحب والخير فداء من أنقذ البشرية
ملأتها ثقافة البر والخير بأسمى ثقافة أبدية
وقفا أثرها صواحب كالأقمار ضحين للمعاني الثرية
فأضأن السماء والأرض ايمانا وحلقن في الجواء القصية
هل تناسيت خولة وعلاها في مجال الوغى ومجلى الحمية
ان مجد النساء يا قوم لم يبق لعمري وراءه من بقية
دندنوا بالخداع كيما تخوضين مع العابثين كل قضية
كله كله هراء ففي بيتك تبنين أنت مجد البرية

الاسس النقدية للتاريخ الأدبي عند ابن سلام الجمحي وابن قتيبة الدينوري

بقلم الاستاذ محمد احمد الزغاري

ما قبل التدوين الأدبي

من الواضح ان الآداب قديمة قدم الأمم والأفراد ، قدم العواطف الفياضة والمشاعر الجياشة ، قدم الخلجات النفسية والخفقات القلبية ، منذ ان كان هنالك انسان يتأثر بأحداث . وهكذا كان الأدب الجاهلي يواكب حياة العرب اللاهثة وبيئتهم القاسية ، يصرف الشعراء طاقاتهم في التغني بأمجاد القبيلة وآلامها ، واذا ما خلا الشاعر لنفسه تغنى بآماله وآلامه ، فتغزل وشبب وافتخر ، ومدح وتكسب ، ورثى وتأسّى . كل هذا والعرب لم يكونوا قد بلغوا بعد مرحلة حضارية تسمح لهم بالتدوين أو حفظ النصوص وسرد سير شعرائهم على نحو ما ، فلم يسبق ان جمع أحد من العرب قصائد شاعر بعينه أو قصائد مجموعة من الشعراء يربطهم رابط جغرافي أو تاريخي أو مذهب شعري أو طريقة فنية واحدة .

ولا يعني هذا أن العرب لم يكونوا يستجيبون للشعر . فمن المعروف أن الآراء كانت آنذاك مجرد مقدمة نقد ذاتي لا يقوم على استقصاء أو تعليل ، وانما على أحكام اجمالية ، كأن يقول أحدهم مثلا : «هذا أشعر الشعراء» ، ويقول آخر : « أفخر ما قالت العرب كذا ، أو أهجى بيت هو ما قاله فلان » ، أو ما قالوه من جمل نقدية مسجوعة كقولهم : « النابغة أشعر الشعراء اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب ، وامرؤ القيس اذا ركب » . هذا وقد حاول أحد النقاد المحدثين أن يتتبع أقوال العرب في الجاهلية ليتوصل الى معرفة الشعراء حسب طبقاتهم ان لم يستطع أن يحدد أشعرهم . وبعد بحث مستقصى ، توصل الى قرار عجيب هو ان جميع الشعراء هم أشعر الشعراء لأنه لا يخلو أن يكون للشاعر بيت مدح لأجله . وما ان بدأ التدوين الأدبي حتى اتخذ التاريخ الأدبي النقد أساسا له ، يأنس به على وجه من الوجوه ، وان كان لا يزال نقدا ذاتيا غير مدعوم بالحجج والبراهين . ولعل أثمن ما خلفه القرن الثالث الهجري في هذا المجال كتابان هما : « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحي ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري .

محمد بن سلام وطريقته في التأليف

لقد راعى ابن سلام في جمعه للشعراء ، حسب طبقاتهم ، الأمور الآتية :

الزمان : لم يكن ذلك من وجهة نظر تاريخية أو تبعا لسير الزمن فحسب ، بل كان نتيجة للتغيير الذي أحدثه الاسلام في حياة العرب الروحية والمادية ، فقسّم شعراء كل فترة زمنية الى طبقات فنية ، ولم يكن له رأي شخصي بل غالبا ما كان يستعين بأقوال الأقدمين ، دون تعليل لذلك .

المكان : لاحظ ابن سلام أثناء تدوينه للشعراء حسب فتراتهم الزمنية ، ان بعض الشعراء لم يكونوا شعراء للعرب كافة ، وانما شعراء اقليميين ، فجمعهم حسب أماكنهم ، لكن لم يفته ان يفاضل بين شعراء البلد الواحد ، حيث جعل « عبد الله ابن الزبعري » على رأس شعراء مكة ، و « حسان بن ثابت » على رأس شعراء المدينة .

التقسيم الفني : وجد ابن سلام ان هنالك مجموعة من الشعراء اختلفت عمن سواها بصدق العاطفة وحرارتها نتيجة ظروف معينة حرمتهم قريبا أو عزيزا ، فأفردهم في طبقة خاصة تحت اسم شعراء المراثي ، وبعد أن قسمهم الى طبقات قال « والمقدم عندنا هو متمم بن نويرة » .

من هذا نرى أن مهمة ابن سلام الجمحي لم تكن تأريخية فحسب بل كانت نقدية كذلك . وصحيح أن نقده كان ذاتيا يعتمد على الذوق ، ولكنه لم يكن يأنس الا بذوق ذوي البصر بالشعر ، المنصرفين اليه . وقد قال في ذلك : « جاء رجل الى خلف الأحمر وقال له ، اذا سمعتُ شعرا واستحسنته ، فما أبالي ما قلتَ فيه أنت وأصحابك يعني النقاد » . فقال له خلف : « اذا أخذتَ درهما واستحسنتَه ، ثم قال لك الصراف انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ » .

وقد برز ذوقه الأدبي واضحا في تحقيقه للنصوص الشعرية ونفيه كل ما لا يعتقد صحة نسبته الى بعض الشعراء أو صحة نسبة بعض الشعراء الى قبائل ليست بقبائلهم . ومن الواضح أن تحقيق النصوص هي أولى مهام الناقد الأدبي .

وقد عمد «ابن سلام» أثناء تدوينه الأدبي هذا الى تفسير بعض الظواهر الأدبية ، وهذا ما لم يكن مألوفا من قبل ، فقد علل قلة الشعر في مكة والطائف والمدينة بقلة الحروب التي تستدعي قول الشعر . أما بالنسبة للمفاضلة بين الشعراء فكان يعتمد في تقييمه لهم على مبدأين أساسيين هما ، كثرة الشعر وتعدد أغراضه ، وجودته .

ابن قتيبة

اذا تصفحنا كتاب ابن قتيبة «الشعر والشعراء» ، وجدنا أنفسنا أمام نموذج مخالف لابن سلام تمام المخالفة ، فهو لم يأخذ بفكرة الطبقات ولا بفكرة الكم في تقييمه للشعراء ، ونكاد نقول بأنه لم يصدر عن فكرة ما أو منهج في التأليف ، فتاريخه أشبه بقصص ونوادر وأخبار متفرقة تفتقر الى الأصالة . لذلك لم يكن ابن قتيبة ناقدا ، وانما كان فقيها في الدين عالما في اللغة . وقد كان يقول للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأقوالهم وأشعارهم في النحو ، انه يفتتح كتابه بقوله : « هذا كتاب ألفته في الشعراء ، أخبرت فيه عن أزمانهم وأقدارهم ، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته . ولا أحسب أحدا من أهل التمييز ، نظر بعين العدل ، يستطيع أن يقدم أحدا من المكثرين على غيره الا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره . » وهي فكرة صائبة خالف فيها ابن سلام ، كما انه خرج على المألوف في عصره بقوله : « ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين التقدير لتقدمه والى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل أعطيت حظه ووفرت عليه حقه . »

ولكنه حين حاول أن يطبق هذه الفكرة التقريرية الصائبة خالفه التوفيق حيث عاد فنقض قوله حين حرّم على الشاعر المتأخر الخروج على أسلوب الأقدمـــين في نظم القصائد فهو يقول : « كما نسلّم انه من السخف أن يحاول المحدثون تجديد ديباجة شعرهم ومداخل قصائدهم باستبدال المنزل العامر بالدّمن ، أو البكاء عند الرسم الدارس بالبكاء عند مشيد العمران .. » فهو يستنكر مثلا قول « اشجع السلمي » في مدح الرشيد :

قصر عليـــه تحيـــة وسلام
ألقت عليـــه جلالها الأيام
قصرت سقوف المزن دون سقوفه
فيـــه لأعلام الهدى أعـــلام

والواقع أن ابن قتيبة كانت عنده ناحيتان : ناحية الروح العلمية التي صدر عنها ، وهذه روح صائبة في دعوتها الى تحكيم النظر الشخصي والاستقلال بالرأي ، وناحية الذوق الأدبي ونقد الشعر ، وهذه أضعف نواحيه . فمن نظرته العلمية الصائبة ، قاوم فلسفة الأدب أو اخضاع الأدب العربي للفلسفة اليونانية ، ووقف في وجه التيار الجديد دون طغيان المنطق على الأدب كما كان قد طغى على الكلام عند المعتزلة وغيرهم .

اما ما يؤخذ عليه فهو انه لم ينقد النصوص نقدا موضوعيا أي ان يذكر النص ورأيه فيه ، كما فعل الآمدي من بعد في كتابه « الموازنة بين الطائيين » ، وانما أورد أخبارا وقصصا عن الشعراء المختلفين ثم بعضا من أشعارهم ، دون مناقشة ولا حكم . اما آراؤه في النقد ، فقد تعرض لها منفصلة عن الشعر في مقدمة كتابه حيث نجد بعض المسائل الأدبية العامة وبعض المقاييس في الحكم على الشعر .

والعيب في نظرات ابن قتيبة يرجع ، كما يبدو ، الى منهجه العقلي . فهو تقريري النزعة في كل شيء ، لا ينظر الى الظواهر نظرة تاريخية بل تقريرية محضة ، حيث يقول : « ما كان ذلك الا لأن التشبيب قريب من النفوس عالق بالقلوب .. » ومن ذلك ما نراه في تقاسيمه للشعر حيث يقول : « ان الشعر على أربعة أضرب : ما حسن لفظه وجاد معناه ، وما حسن لفظه وحلا فاذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه . »

وهذه النظرة تقوم على حكمين تقريريين سابقين الأول : أنه يرى فصل اللفظ عن المعنى وتقديم المعنى على اللفظ ، والثاني يرى أنه يجب أن يكون لكل بيت من الشعر معنى . والمعنى الذي يقصده « ابن قتيبة » اما أن يكون فكرة أو مغزى اخلاقيا ، فهو ينتقد أبيات عمر بن أبي ربيعة الغزلية ، لخلوها كما يقول من كل معنى مفيد :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هـــو ماسح
وشدت على حدب المطايا رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هـــو رائح
أخذنـــا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت باعناق المطـــيّ الأباطـــح

أما المغزى الاخلاقي فواضح من اعجابه بقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبـــة اذا رغّبـــتها
واذا تـــرد الى قليـــل تقنـــع

والظاهر أن ابن قتيبة الفقيه قد عجز عن فهم الصور الفنية والحالة النفسية في الأبيات الأولى ، كما عجز عن فهمها فـــي أبيات ذي الرمة وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة فلم يجدها :

عشية مالي حيلـــة غير انـــني
بلقط الحصا والخط في الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثـــم أعيـــده
بكفّي والغربان فـــي الدار وقّع

مما تقدم رأينا ان ابن سلام الجمحي مؤرخ ناقد يصدر عـــن ذوق سليم في نقده ، في حين ان ابن قتيبة ، وان كانت نظراته العلمية صائبة ، فقد جانبه الحظ في نظراته التقريرية وفي ذوقه التطبيقي ، الذي كان أضعف نواحيه في التأليف .

كيف يتحقق للمرء صفاء البال؟

للاستاذ الدكتور احمد فؤاد الاهواني

يبدو أن صفاء البال من المحال ، ما دام الانسان مركبًا من نوازع ورغبات ، وآمال وآلام ، وأطماع عسيرة المنال . ولكن أخطر ما يعكّر الصفو ، ويذهب براحة البال ، المخاوف المتعددة المصادر التي قد يكون بعضها واقعيا حقيقيا ، وبعضها الآخر وهميا من اختراع الخيال ، ونسيج الأوهام . وكثيرا ما تهبط هذه المخاوف الملموسة الى أعماق اللاشعور ، ولكنها لا تختفي تماما ، بل تظل تعمل ، وتكون مصدرا لما يعرف بالقلق .

فاذا أردنا أن يتحقق لأحدنا صفاء البال ، فلا بد أن نزيل الأسباب التي تعمل على تعكير البال . وقد كانت هذه الأسباب موجودة من قديم الزمان ، صاحبت الانسان على مرّ التاريخ في الأزمنة الطويلة ، وكلما تغلب على أحدها ، وظن أنه قد بلغ ما يريد من مرام ، ظهرت أمور أخرى تؤرقه وتقلق راحته . واذا شئنا أن نتبيّن هذه الأمور ونرسم لها ، على طريقة العلماء ، خطا بيانيا يبدأ من التاريخ القديم الموغل في القدم حتى العصر الحاضر ، لرأينا أن أسباب المخاوف والهموم كانت كلها خارجية ، في الأغلب الأعم ، وشيئا فشيئا تغلب الانسان على هذه المخاوف الخارجية ، وأصبح آمنا من جهتها . ولكن أخذ الخط البياني يتجه من المصادر الخارجية الى الكوامن الداخلية ، التي تنبعث من داخل النفس الانسانية ذاتها .

كان الجهل بالعالم الخارجي مبعث الخوف ، فأضحى الجهل بالنفس مصدر الهم والقلق .

ونحن لا نعرف أكان الانسان البدائي في فجر الانسانية يعيش ناعم البال أم كان مهموما مؤرقا ، لأن الزمن الذي يفصله عنا مديد ، ولم يترك لنا رسائل يبث فيها خلجات نفسه ، اذ لم يكن يعرف الكتابة ، اللهم الا بعض الرسوم التي خلّفها لنا داخل الكهوف ، التي كان يأوي اليها كلما حل الليل ، وينفق فيها تلك الساعات الموحشة المظلمة . وهي رسوم تتميز بالفن ، صوّر فيها من خياله ما يعكّر صفو حياته ، ويجعله يخشى على نفسه . انها صور الوحوش البرية كالأسود ، والنمرة ، والثيران البرية ، لا يعنى في رسمها بالتفاصيل ، بل بابراز مواطن الخطر ، مثل قرون الثور . فالانسان الأول لم يكن خليّ البال ، لأن المخاطر التي كان يتعرض لها ، ويجتنبها ، بالابتعاد عنها والجري بعيدا منها ، كانت تلاحقه في خياله . ويصوّر له الوهم أن هذا الخيال حقيقة واقعة ، فيأخذ في تسجيل هذه الأوهام في الرسوم والتصاوير . ومن هنا كانت احدى بدايات الفن .

وفي الفن راحة ، وفيه تسلية ، وفيه تسرية عن النفس . لأن الفن هرب من الواقع المرير ، الى الخيال اللذيذ . فان كان المرء لا يقوى على مكافحة آلام الواقع ، وهي مبعث قلقه ، فليكافحها في الخيال ، وليتصور أنه قد قضى عليها ، سواء أكان هذا الفن رسما وتصويرا ، أم غناء وموسيقى ، أم قصصا ورواية .

ولا يزال الانسان في العصر الحاضر ، كما كان أجداده السوالف في العصور السحيقة ، يتخذ من الفن ملاذا وراحة وصفاء بال . ولعله الآن أحوج الى هذا الفن منه في الزمن القديم ، وبخاصة بعد أن تقدمت الفنون وتطورت ، حتى ظهر منها الخيالة ، وهي المعروفة بالسينما ، وظهر منها فن التلفزيون ، فضلا عن ألوان المسارح والملاهي ودور المرح ، وغير ذلك .

ولا تحسبن أن الالتجاء الى الفن ، لصرف المخاوف وازالة الهموم ، كان مقتصرا على الانسان البدائي ، أو الانسان المتمدين في العصر الحاضر . ففي العصر الوسيط كان الناس يلجأون الى الفن ، العامة منهم ، والجمهور ، والعلماء ، والمثقفون من علية القوم . فهذا أبو علي بن سينا أشهر فلاسفة الاسلام يحكي لنا ، في سيرته ، أنه حين كان وزيرا يصرّف شؤون الوزارة بالنهار عند شمس الدولة ، كان يجتمع عنده المغنّون بآلاتهم طرفا من الليل ، التماسا للراحة من عناء الأعمال . وكان الناس في زمانه غير آمنين على حياتهم ، لكثرة اللصوص ، وعدوان فتّاك الليل ، وقطع الطرق على المارة . وهو نفسه لم يسلم من أذى هذه الفئة من الناس ، ولكنه كان يستعين على قلق البال بالموسيقى والغناء .

الفن اذن ، استمتاعا بالنظر اليه أو الاستماع له ، أول دواء نصفه لصفاء البال . والدواء الثاني موصوف مجرّب أيضا ، انه العمل .

فالعمل في حدّ ذاته متعة للنفس . وقد صوّر الفيلسوف الفرنسي « برجسون » أن العمل مصدر ما يشعر به المرء من بهجة وسعادة . وكلما انغمس الانسان في العمل ، نسي نفسه ، وغاب عنها ، فلا يبقى أمامه سوى هذا العمل الذي ينهمك فيه ، حتى يرى ثمرته ، فيسعد ويبتهج وينتشي . ان الصانع في مصنعه ، والزارع في أرضه ، والكاتب في تأليفه ، كل أولئك عامل ، لا فرق بين الواحد منهم والآخر ، سوى أن عمل الصانع يدويّ أو بالآلات ، وعمل الكاتب ذهني مجرّد معنوي . والعمل مطية الاستغراق ، والبطالة سبيل الفراغ ، والاستغراق في العمل مشغلة للذهن ، والفراغ يبعث على السأم والملل والتفكير في الهموم . لذلك نصح الحكماء كل من يريد أن يعيش ناعم البال بالانهماك في العمل والانتاج ، بشرط أن يتصف العمل بالكمال والاتقان . والأمثلة من التاريخ لا تحصى . يروى أن الامام أحمد بن حنبل كان يتكسب من نسخ الكتب بالأجرة . وفي العصر الحديث يروى أن « جون ديوي » الفيلسوف الأمريكي الشهير عندما بلغ السبعين من العمر ، شغل وقته بتربية الدجاج وبيع البيض ، ولم يتحرج من هذا العمل .

فالعمل دواء يوصف لصفاء البال ، ولا ينبغي



يدخل خط الأنابيب أراضي النمسا عبر هذا النفق المحفور في سفح الجبل .

لأحد أن يترفع عنه ، ما دام شريفا . فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يرقّع ثوبــه ، ويخصف نعله .

وان مواجهة المخاطر ومجابهتها ، والعلم بهــا وبأسبابها ، ومعرفة سبل الوقاية منها ، كل ذلك هو الدواء الايجابي لراحة البال . أما الفن والعمل ، فكلاهما سبيلان سلبيان أقل فائدة في هذا المجال من العلم الصريح .

ولكن العلم ، اذا كان قد قضى على تلك المخاطر ، فانه لم يستطع ، وأكبر الظن أنه لن يستطيع ، القضاء على الخطر الوافد الى المرء من داخل نفسه . وقد قيل ان أكبر الأعداء عدوك الذي بين جنبيك ، والعلم ، على الرغم من تقدمه الهائل في مجالي الطبيعة والاحياء ، فانه لا يزال قاصرا في ميدان النفس البشرية ، لم يستطع التغلب على منازعها .

والذين حللوا النفس البشرية قديما وحديثا ذهبوا الى أن داءهــا القاتل يكمن في النوازع التي تحيك في صدر معظم الناس ، كالحسد والعداوة ، والحقد ، والطمع ، والطموح ، وغير ذلك . وأكبر من فصّل هذه النوازع من القدماء أبو حامد الغزالي في كتاب « الأحياء » ، وكتب عن كل داء منها فصلا طويلا ، ووصف الدواء الشافي لهذه الأدواء كلها ، وهو عنده التمسك بأهداب الدين ، والأخذ في طريق الزهد ، والتحلي بيقين الايمان . ولكن هذا الطريق بجميع تفاصيله لا يقوى عليه جميع الناس. أما الطريق اللائق بالأغلبية العظمى منهم ، فهو ما وصفه أطباء اليونان في القديم من لدن أبقراط الى جالينوس ، والذي لا يزال الأطباء في العصر الحاضر يصفونه ، وهو الاعتدال ، وان يؤخذ كل شيء بمقدار . وأن الحكمة القائلة « خير الأمور الوسط » ، لا تزال هي حكمة اليوم .

وقد حلت الفلسفة الرواقية هذه الأزمة بالرضا بالواقع والرضا بالقضاء والقدر . وبظهور الاسلام سادت الحكمة القائلة « ما كان لك سيأتيك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » . وهي حكمة مريحة تنتهي الى صفاء البال ، ولكن الاسراف فيها يؤدي الى التواكل . وقد سئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى « انا كل شيء أنزلناه بقدر : اذن فيم العمل » ؟ فأجاب « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق لـه » .

ان صفاء البال يكمن في هذه الحكمة النبوية ، ومدلولها : الرضا بالقضاء ، والعمل الدائب والانتاج.



هل من جديد؟

طريقة جديدة لاخصاب الأبقار العقيمة

ما انفك الانسان يجد في محاولاته العلمية ازاء تطوير مصادر الغذاء والبحث عن مصادر أخرى جديدة . وهو في سبيل ذلك أدخل تحسينات واضافات على أنواع عديدة من مصادر الغذاء بغية تحسين جودتها . والحليب ، مثلا ، هو أحد مصادر الغذاء الرئيسية التي ما زال الانسان يوليها عناية فائقة .

ومن المعروف انه يمكن الحصول على الحليب من مصادر حيوانية عديدة ، أهمها الأبقار . غير أن ثمة أنواعا من البقر مصابة بالعقم . وقد أجريت دراسات واختبارات علمية في هذا المضمار تبشر باحتمال تخصيب الابقار العقيمة ، وجعلها منتجة للحليب بكميات تجارية تفي بمتطلبات معامل الألبان . وقد جاء في احدى النشرات العلمية مؤخرا أن اثنين من علماء جامعة « ميشغان » الأمريكية ، تمكنا من ابتكار طريقة حديثة لجعل الأبقار العديمة الأخصاب تنتج الحليب على نطاق تجاري . ويقول العالمان : « لكي تتحقق هذه الطريقة بشكل فعال فان هناك عائقين يجب ازالتهما ، أولهما ، عدم نمو الثدي نموا كافيا ، وثانيهما ، عدم وجود طريقة يعتمد عليها في استدرار الحليب بعد نمو الثدي . » بيد انه تبين لهما ان الهرمونات التي يفرزها المبيض تساعد على نمو الثدى ، وان الهرمونات التي تفرز تحت الجزء القشري من الغدة الكظرية تزيد في انتاج الحليب .

ويعتقد العالمان المكتشفان بأن الفائدة المتوخاة من هذا الابتكار لن تكون مقصورة على انتاج الحليب بكميات وفيرة فحسب ، بل ستساعد أيضا على انقاذ ٢٠ في المائة من الأبقار العقيمة التي ينتهي مصيرها الى الذبح بسبب عقمها ، وابقائها مصدرا حيويا لتموين معــامل الألبان بالحليب . وقد كشفت التجارب المختبرية التي أجريت للغاية نفسها ، عن أن ارتفاع نسبة الحمل بين الابقار يجعلها أكثر انتاجا للحليب . هذا وقد تركزت الدراسات على امكان الحصول على حليب جيد من الأبقار التي جرى تلقيحها بالهرمونات . وفي حال فشل هذه التجارب في الحصول على نوعية الحليب المطلوب ، فانه يمكن الاستفادة منها في جعل معدل ثلث الأبقار العقيمة تقريبا قابلة للاخصاب ، وذلك بعد تلقيحها بالهرمونات . وقد دلت الاختبارات العديدة على أن كثيرا من الأبقار التي لقحت بالهرمونات قـد زاد وزنها من ١٠٠ الى ٣٠٠ رطل ، كمــا أن أبقارا أخرى زاد انتاجها من الحليب .

خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال)

عبر جبال الألب الشاهقة ، حيث تغطي الثلوج القمم على مدار السنة ، تم مؤخرا مد خط للأنابيب كان له أثره في تقصير المسافة بين حقول الزيت وأسواقه ، وامداد بلدان أوروبا الوسطى بما يلزمها من الطاقة لمواجهة نموها الصناعي المطرد .

تعتبر سلسلة جبال الألب ، بالنسبة لسكان المناطق الأوروبية التي تمتد فيها . حقيقة مهمة في حياتهم اذ ظلت على مرّ العصور حصنا منيعا طالما قهر زمر الفاتحين ، وقلما قهروه ، وعقبة كأداء في سبيل التجارة ، ومعينا لا ينضب من الجمال الخلاب . وعند ممرات جبال الألب ، في السفوح والقمم سطّر كل من « هنيبال » بفيلته ، ونابليون بفيالقه ومغامراته الجريئة سطورا لا تنسى في تاريخ الحروب ، كما ان سكك الحديد والطرقات والأنفاق ، التي تجتاز قممها وأوديتها ، فتصل بين ما كانت تحول دون اتصاله ، تعتبر من روائع الفن الهندسي ، لا في أوروبا وحدها ، بل وفي العالم أجمع .

ومنذ شهور تمت كتابة فصل جديد في تاريخ تلك السلسلة الجبلية المنيعة الرائعة ، وذلك عندما تم انجاز مد خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال) (Transalpine Pipeline) من ميناء « تريستي » الايطالي ، الذي يقع على « البحر الادرياتيكي » ، الى مدينة « انجولستادت » الألمانية ، الواقعة على نهر الدانوب ، والتي تشتهر بقلاعها الأثرية . ويعتبر هذا الخط من أهم خطوط أنابيب الزيت في أوروبا الغربية ، ويبلغ طوله نحو ٤٦٠ كيلومترا ، أما طاقة الضخ فيه فتبلغ ٣٠٠٠٠٠ برميل يوميا . بيد أن طاقة الضخ القصوى لهذا الخط قد تزيد على مليون برميل يوميا في حال تشغيل جميع محطات الضخ التي أنشئت عليه . ويبدأ تدفق جريان الزيت عبر هذا الخط من مستوى سطح البحر في ميناء « تريستي » ، ثم يرتفع تدريجيا حتى يصل الى نقطة في احدى قمم الألب يبلغ ارتفاعها ١٦٠٠ متر عن سطح البحر وذلك هو أقصى علو يبلغه . ويتألف الخط من (٤٠٠٠٠) أنبوبة من الفولاذ ، طول كل منها ١٢ مترا وقطرها ٩٠ سنتيمترا ، ويبلغ وزن الفولاذ الاجمالي الذي صنعت منه هذه الأنابيب ١٢٠٠٠٠ طن . ويستطيع هذا الخط الهائل أن يستوعب نحو ٢٢٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام . وقد جرى تركيب شبكة اتصال ألكترونية تعمل تلقائيا للتحكم في مراحل سير العمل فيه بشكل مستمر ، وحسب ما هو مرسوم له .

مركز (تال) بالنسبة لأوروبا

كان الزيت الذي تستهلكه أوروبا ، لسنوات قليلة ماضية ، يكرر قرب سواحل البحار ، ومن ثم ترسل مشتقاته الى المستهلكين في شاحنات خاصة ، أو قطارات ، أو ناقلات صغيرة . وفي أواسط الخمسينيات من هذا القرن ، وجد أن وسائل النقل هذه لم تكن كافية لمواجهة الطلب المتزايد على الزيت* ، ولذلك بوشر في بناء معامل للتكرير بالقرب من أماكن الاستهلاك ، وأصبحت خطوط الأنابيب نتيجة لذلك ، خير الوسائل لنقل الزيت اليها .

وقد بنيت منذ عام ١٩٥٨ خمسة خطوط أنابيب رئيسية للزيت في أوروبا الغربية ، وكان خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال) الذي نحن بصدده ، سادسها .

ول « لتال » مركز هام كخط رئيسي لامداد بلدان أوروبا الغربية بالزيت ، وتعتبر مدينة « انجولستادت » ، حيث ينتهي ، مركزا صناعيا وتجاريا ممتازا . وهي محاطة بعدة معامل لانتاج المواد البتروكيماوية ولتكرير الزيت الخام . وتعتمد على « خط أنابيب الراين — الدانوب » و « خط أنابيب جنوب أوروبا » لتزويد تلك المعامل بما يلزمها من الزيت الخام . ومنذ أن مد هذان الخطان في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ على التتابع ، ازداد الطلب على الزيت في بلدان وسط أوروبا وجنوبها ازديادا ملحوظا ، الأمر الذي أدى الى مد خط آخر لمواجهة ذلك . وليس خط أنابيب (تال) مقصورا على تزويد مدينة « انجولستادت » وحدها بالزيت ، ولكنه متصل بخط أنابيب الراين — الدانوب لتزويد مدينة « كارلزرو » بما تحتاجه من الزيت ، مما خفف الحمل على خط أنابيب جنوب أوروبا وجعله مقصورا على مواجهة متطلبات المستهلكين هناك .

تكاليف (تال) ومراحل انشائه

تقدر تكاليف انشاء خط أنابيب (تال) بنحو (١٨٥ مليون دولار) أي ما يعادل (٨٣٢٥٠٠٠٠٠ ريال سعودي) ، أسهمت بخمسها شركة ستاندرد أويل (نيوجرسي) ، بينما أسهمت في تحمل الجزء الباقي اثنتا عشرة شركة أخرى للزيت بين فرنسية ، وايطالية ، وألمانية ، وهولندية ، وبريطانية ، وأمريكية . وهو يمر عبر أراضي ثلاث دول هي ايطاليا ، والنمسا ، وألمانيا الغربية . ومن الجدير بالذكر أنه بينما تتعاون شركات الزيت السالفة الذكر على انشاء هذا الخط وتمويله ، نجدها تتنافس على تكرير الزيت الذي يتدفق عبره وتسويقه .

وقد أنشئت في خليج « موغيا » بالقرب من ميناء « تريستي » فرضتان واسعتان لاستقبال ناقلات الزيت القادمة من الشرق الأوسط أو شمال افريقيا ، تبلغ حمولة الواحدة منها ١٦٠٠٠٠ طن . وبالاضافة الى ذلك قامت شركة « يولاندا » (Yolanda) ، وهي احدى كبريات شركات الحفر في العالم ، بازاحة ما مقداره ٧٠ مليون طن من المواد المترسبة في قاع البحر في تلك المنطقة

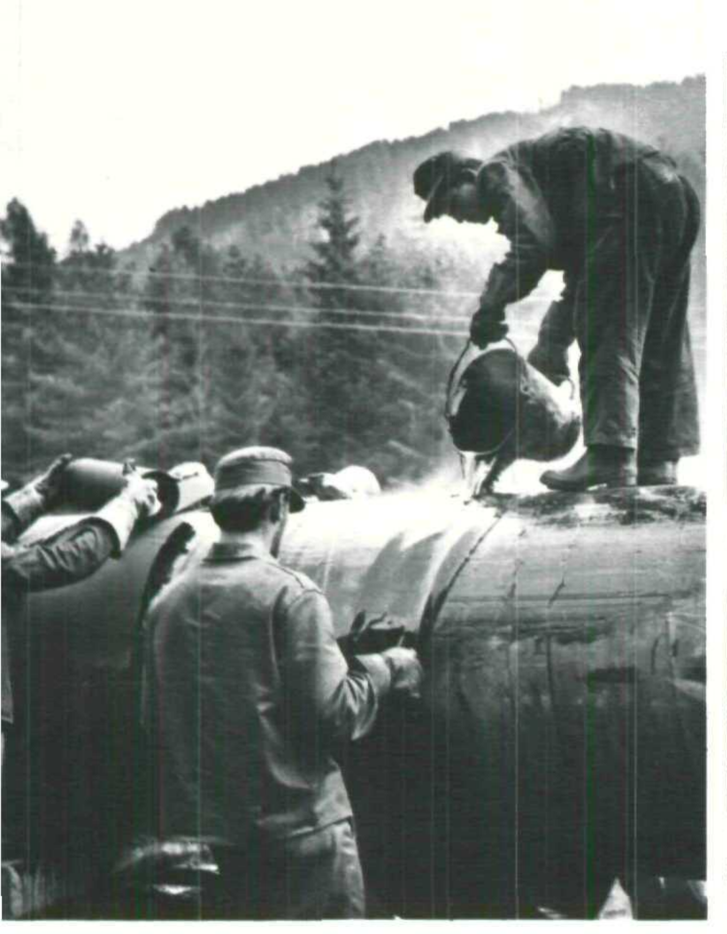
---

* بينما كان الزيت يشكل ١٣ في المائة من مصادر الطاقة في أوروبا عام ١٩٥٠ ارتفع الى ٣٠ في المائة عام ١٩٦٠ وهو الآن يشكل ٥٠ في المائة منها .

١



٢



٣

٤

تمهيدا لحفر قناة فيها يبلغ عمقها نحو ١٧ مترا . كما انشئت على بعد خمسة كيلومترات من « سان دورليغو » ساحة خزانات فسيحة تبلغ سعتها خمسة ملايين من البراميل ، يخزن فيها الزيت قبل أن يبدأ رحلته صعدا عبر خط الأنابيب .

وفي « سان دورليغو » تدفع أولى محطات الضخ الخمس الزيت الى الشمال باتجاه سفوح مرتفعات الألب « الكارنيكية » ، على الحدود بين النمسا وايطاليا . وتضم كل محطة مضختين كهربائيتين قوة كل منهما ٤٠٠٠ حصان ميكانيكي . وتستطيع هذه المحطات مجتمعة أن تضخ الزيت عبر خط الأنابيب الى ارتفاع يبلغ أقصاه ١٥٥٠ مترا عند أعلى قمم الألب . ومن هناك يبدأ بالانحدار التلقائي بفعل الجاذبية الأرضية ، الى أن يبلغ مدينة « أنجولستادت » في آخر المطاف .

وتعترض طريق خط الأنابيب ، على الحدود ، هضبة « كارسو » الصخرية الصلدة الجرداء ، التي كانت منذ قرون غابة من أشهر غابات أوروبا ، ومصدرا فريدا لأخشاب سفن روما وأساطيلها ، ولذلك ، اضطر الفنيون الى استخدام المتفجرات لاختراق تلك الهضبة على عمق مترين ونصف المتر تقريبا ، حتى يتسنى لهم مد خط الأنابيب عبرها .

ثلاثة أنفاق

قبل أن يدخل خط الأنابيب الأراضي النمساوية ، يمر من خلال ثلاثة أنفاق حفرت في جبال الألب . أولها نفق « بلوكين » الذي يبلغ طوله نحو سبعة كيلومترات والذي يرتفع حوالي ٩٥٠ مترا عن سطح البحر . وعند خروج الخط من هذا النفق ، يمتد نزولا في وادي نهر « دراو » الى أن يصل الى « لينز » مارا بالقرب من آثار مدينة « أغنتم » الرومانية التي تقع شرقي « لينز » ، ثم يستمر في امتداده الى أن يصل نهر « آيسل » ثم الى مدينة « ماتري » حيث تقع محطة الضخ الخامسة .

ومن هذه المدينة يمتد صعدا الى النفق الثاني وهو يقع في قمة « فيلبرتيرن ماسف » الشاهقة الارتفاع والتي تكسوها الثلوج طوال العام ، ثم يأخذ بالانحدار السريع مارا بوادي نهر «سالزاك» ، فالممر المعروف باسم « تيرن باس » ليرتفع مرة أخرى فيدخل نفق « هاهننكام » ، وهو النفق الثالث والأخير ، والذي يرتفع نحو ١١٠٠ متر



١ – احدى الجرافات الضخمة التي استخدمت في تمهيد الطريق لخط أنابيب « تال » في سفوح جبال الألب في ايطاليا .

٢ – قبل وضع الأنابيب في أماكنها من الخط ودفنها بالتراب تغلف بطبقة من الاسفلت تحول دون تآكلها .

٣ – كانت الأنابيب تغطى مؤقتا بقطع معدنية تحول دون دخول الحيوانات والأوساخ فيها .

٤ – احدى البواخر أثناء تنزيلها حمولة من الأنابيب من قطر ٤٠ بوصة ، وقد استعملت ٤٠٠٠٠ انبوبة منها في مد الخط .

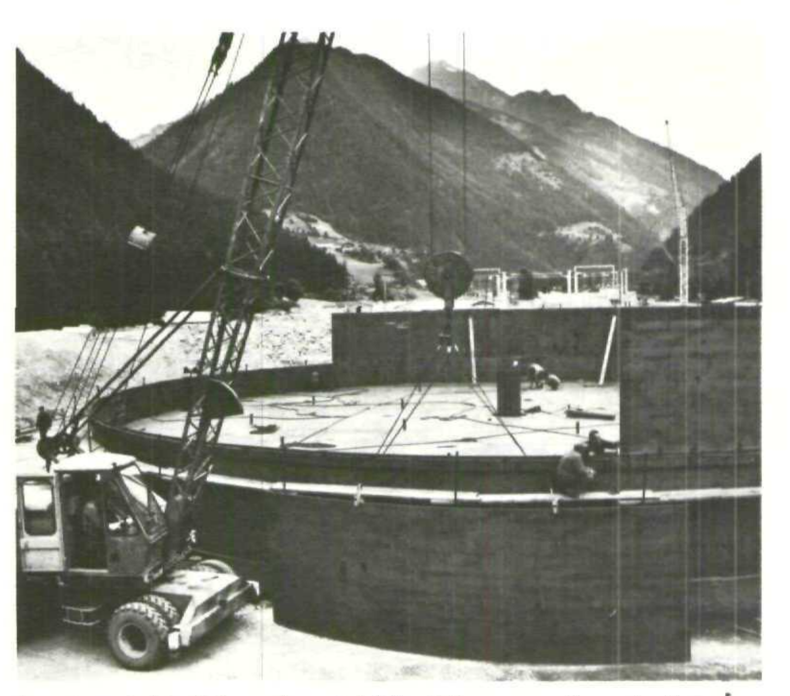
عن سطح البحر ، ويمتد مسافة تزيد على ستة كيلو مترات . وبعد أن يجتاز الخط النفق الثالث والأخير ينحدر الى وادي « ان » مارا بالحدود النمساوية – الالمانية الى أن يصل الى مدينة « انجولستادت » في نهاية رحلته .

أقصر مسار

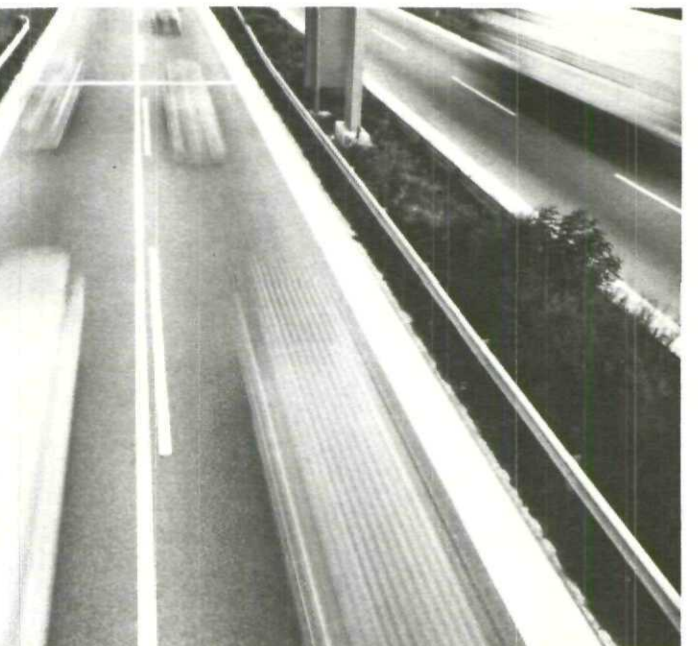
ولم يقصد لخط الأنابيب « تال » أن يتبع مسارا سهلا بين مدينة « تريستي » على الساحل الايطالي ومدينة « انجولستادت » الالمانية ، لأن ذلك يعني الكثير من الدوران به حول الجبال ، ولكن قصد له أن يتخذ أقصر مسار بين المدينتين ، ولذلك فقد اعترضت مهندسيه عقبات ومصاعب كثيرة كان لا بد لهم ازاءها من بناء ١٥٤ نقطة تقاطع مع طرق رئيسية ، و ٦ نقاط مع خطوط سكك الحديد ، و ٣٦ نقطة مع أنهار كبيرة ، و ١٣٦ نقطة مع جداول ووديان صغيرة ، وقد كلفت هذه النقاط مجهودا كبيرا ونفقات اضافية باهظة . كما أن شق الأنفاق الثلاثة السالفة الذكر ، كان من أصعب المشكلات الفنية التي واجهها المهندسون في بناء خط الأنابيب « تال » . فقبل البدء بذلك ، جهد اخصائيو الكهوف في الكشف عن كهوف المناطق التي حفرت الانفاق فيها ، للتأكد من أن أحدها



ينحدر خط الأنابيب الى منطقة سهول بفاريا الخضراء بين « سالبرغ » في النمسا ، و « ميونخ » في المانيا بعد اجتيازه جبال الألب .



أحد الصهاريج التي يجري بناؤها حاليا لتخزين الزيت الخام قبل ضخه في خط الأنابيب هذا .



ان اكتظاظ الطرق الرئيسية في أوروبا بوسائل المواصلات يظهر مدى ما تحتاجه القارة من الزيت ، وسيكون لخط الأنابيب (تال) فضل كبير في تأمين ذلك .

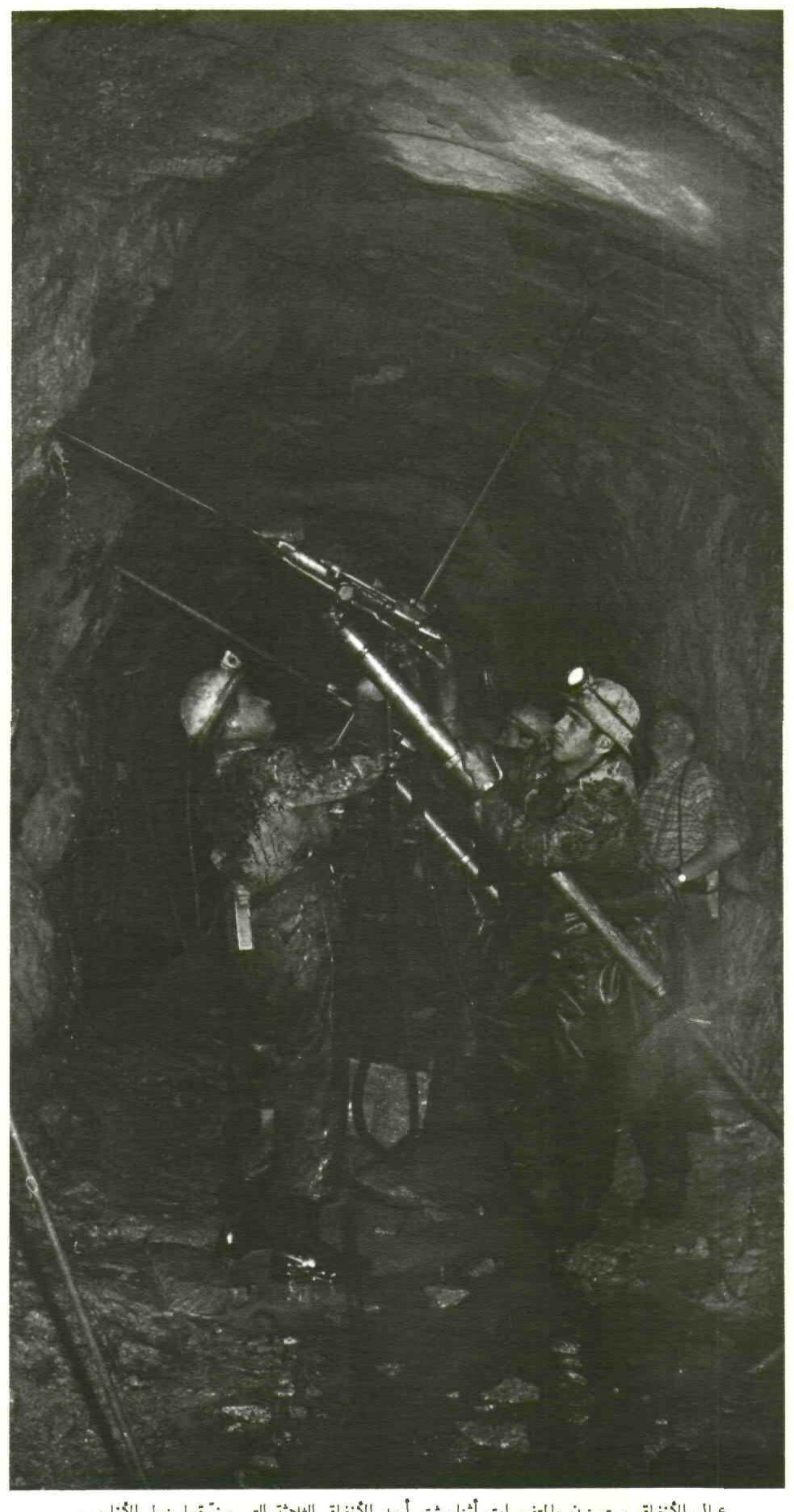
لن ينهار نتيجة لأعمال التفجير العنيف التي اقتضتها الصخور الصلدة ، والتي كانت تجري في جهتي النفق في وقت واحد ، لتلتقي في وسطه بدقة بالغة . وقد قام بحفر الأنفاق الثلاثة فريق من الفنيين النمساويين الذين خبروا هذا النوع من العمل الشاق لسنوات طويلة ، ويبلغ امتداد هذه الانفاق مجتمعة ٢٠ كيلومترا ، وقد استهلكت مئات الأطنان من المتفجرات . وتأخذ كل بوابة من بواباتها شكل حذاء الفرس ، ويبلغ ارتفاعها أربعة أمتار تقريبا ، وعرضها ثلاثة أمتار ، وذلك لتمكين الفنيين من مد الأنابيب داخلها بسهولة .

ومع ان شق هذه الأنفاق كان بحق من أصعب العمليات التي واجهها المشرفون على انجاز هذا المشروع الضخم وأكثرها تعقيدا ، الا أنها وفرت الكثير من الجهد والنفقات . فلولاها لاضطر المهندسون الى رفع الأنابيب الى قمم جبال الألب الأمر الذي قد تنشأ عنه تعقيدات أخرى تستلزم جهودا وتكاليف اضافية باهظة .

أعمال تحضيرية

وقد سبقت عملية مد خط الأنابيب « تال » أعمال تحضيرية متعددة ، قام بها اخصائيون ماليون واقتصاديون وظفتهم شركة « تال » أو الشركات المالكة لها قبل ١٨ شهرا من بدء العمل . كما أجريت دراسات اقتصادية وهندسية ، ومفاوضات مع الحكومات والهيئات المعنية ، وأبرمت اتفاقيات مع الجهات الرسمية قبل بدء العمل في ربيع عام ١٩٦٥ . وقد بلغ عدد شركات المقاولات التي شاركت في مد خط الأنابيب « تال » ١٤٠ شركة بين نمساوية ، وفرنسية ، وألمانية ، وبريطانية ، وايطالية ، وهولندية ، وأمريكية . كما اشتركت مصانع الفولاذ في كل من النمسا وايطاليا في صنع الأنابيب والصهاريج الفولاذية ، بينما قامت شركة هولندية بحفر مرسى للناقلات في ميناء « تريستي » ، وشركات ايطالية ببناء الفرض وساحة الخزانات القريبة منها .

هذا ، وتتوقع البلدان الثلاثة ، بأن يعود هذا الخط الجديد الذي يمر عبر أراضيها ، بمنافع اقتصادية كبيرة خلال السنوات العديدة القادمة ، وسيكون ذلك مختلفا بين بلد وآخر . ففي النمسا مثلا بلغ مجموع ما صرف من رأسمال خط الأنابيب نحو ١٠٠ مليون دولار أي ما يعادل



عمال الأنفاق يستعينون بالمتفجرات أثناء شق أحد الأنفاق الثلاثة التي يخترقها خط الأنابيب .

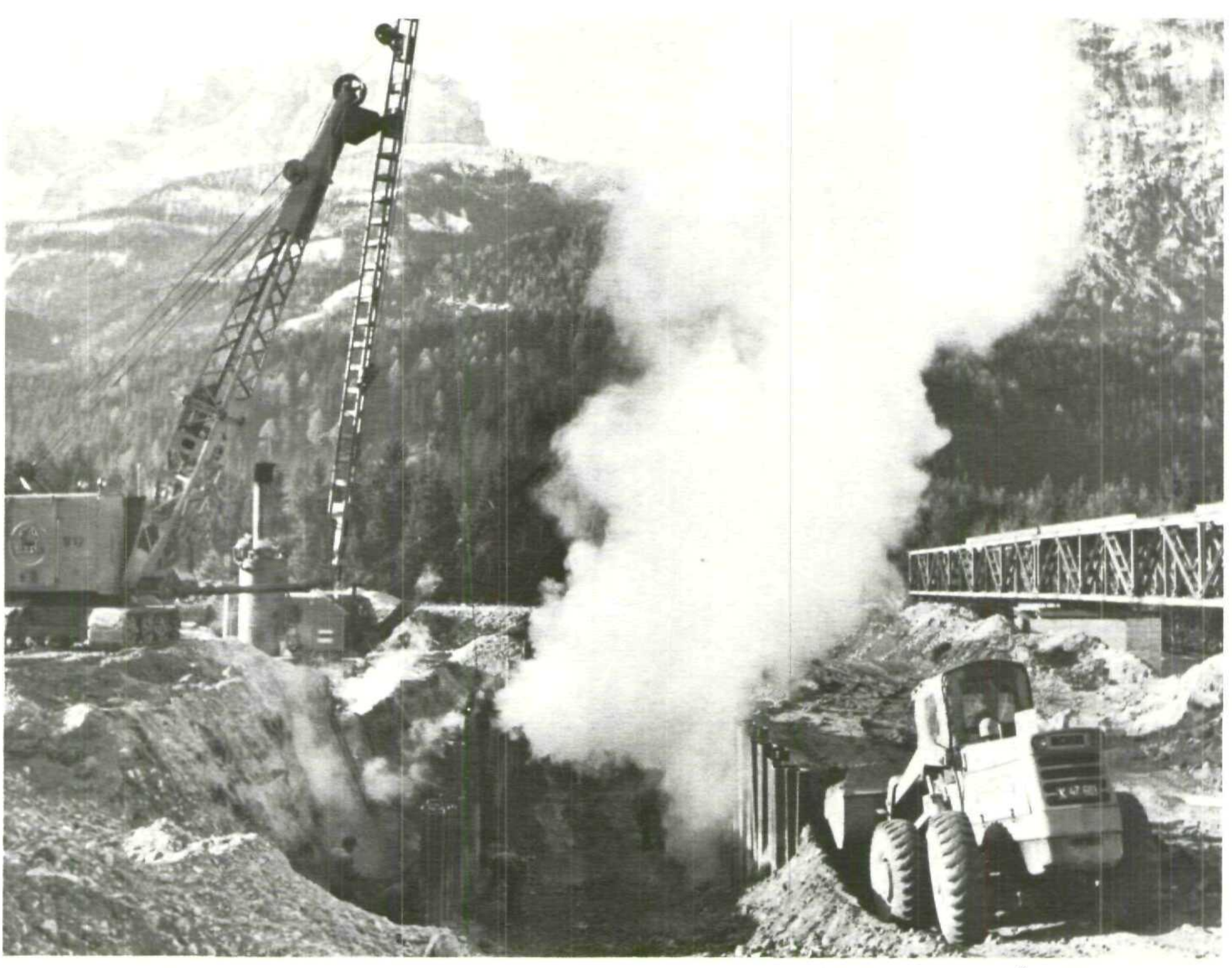
٤٥٠ مليون ريال سعودي ، كان لها أثر كبير في انعاش الاقتصاد النمساوي . كما كانت حتى الخمسينيات من القرن الحالي تتزود بالزيت من حقولها ، الا انها الآن تعاني من نقص في انتاج تلك الحقول ، ولذلك فهي ستعوض عن ذلك النقص بالتزود من زيت « تال » عبر خط فرعي ستسهم في انشائه كل من شركة (جيرسي) والشركة النمساوية الحكومية للزيت وغيرها من شركات الزيت النمساوية المحلية . وستكون طاقته حوالي ٤٠٠٠٠ برميل يوميا ، الأمر الذي سيساعد على تطوير الصناعة النمساوية ، وعلى ضمان امدادها بحاجتها من زيت العالم الحر .

وفي ايطاليا بلغ ما صرف من رأسمال (تال) ٧٢ مليون دولار أي ما يعادل (٣٢٥ مليون ريال سعودي) ، كما أن المشروع ضمن توظيف ١٢٠٠ رجل في منطقة تريستي وحدها . ويمكن القول أن خط الأنابيب (تال) سيعيد الى مدينة «تريستي» الايطالية مركزها التجاري ، كملتقى للتجارة الغربية والشرقية وكميناء من أهم الموانيء الرئيسية في أوروبا . ولذلك فان الحكومة الايطالية بالتعاون مع بعض الشركات المحلية تخطط لبناء حوض ضخم لاصلاح الناقلات والسفن الضخمة قرب تلك المدينة ، كما انها تخطط لبناء مصنع لانتاج محركات الديزل ، ومركز لابحاث الملاحة ، بالاضافة الى بعض المشاريع الأخرى .

ويبلغ ما صرف من رأسمال خط الأنابيب (تال) في ألمانيا الغربية ، ٤٤ مليون دولار أي ما يعادل (١٩٨ مليون ريال سعودي) . وسيكون هذا الخط بالنسبة اليها مصدرا لتزويد منطقة الراين العليا ، و « بفاريا » بالزيت الخام حيث ستقام بالقرب من « انجولستادت » معامل تكرير جديدة بالاضافة الى معاملها الحالية . كما أن خطوط الأنابيب الفرعية ستنقل الزيت من خط الأنابيب « تال » الى منطقة تقع حول «بورغهوسن» والى معامل التكرير قرب « فوتشهيم » .

وهكذا ، بدأ الزيت منذ شهور قليلة يتدفق عبر خط الأنابيب « تال » ، ساكنا وغير مرئي ، في مسافات شاسعة من أوروبا الغربية ، حيث ترتسم على سطح الأرض أجمل المناظر وأبدعها ، وحيث القمم تتبرج بالنور الأبيض الناصع ، والسفوح بالشجر الباسق ، والسهول بالزرع الأخضر . ولا تبدو للعين من آثار أعمال الانشاء الهائلة التي رافقت ميلاده ، الا محطات الضخ وعلامات ارشاد الطائرات الى مسار الخط في الأمكنة التي يصعب الوصول اليها باستعمال وسائل أخرى .

عن مجلة « لامب » باذن خاص



كانت أعمال نقل المعدات وقطع الأنابيب تتطلب جهود العديد من المهندسين والفنيين، خاصة في المناطق الجبلية النمساوية .

أبو هلال العسكري

بقلم الاستاذ عبد العزيز الرفاعي

قلت في مقال سابق عن أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ، انه يتفق مع أبي هلال العسكري في الاسم واسم الأب وفي اللقب أو النسبة . فكلاهما الحسن بن عبد الله العسكري نسبة الى عسكر مكرم بالاهواز .

وان كان مما يجدر ملاحظته ان صاحب كتاب « الاعلام » ، أورد نسب ابي هلال هكذا : « الحسن بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري .. » بينما جاء نسبه في « معجم الأدباء » الحسن ابن عبد الله بن سهل ، ثم أكمل بقية النسب كما هو في « الأعلام » .

ولقد فرق القدامى بينهما بأن قالوا : العسكري اللغوي ، ويقصدون أبا أحمد ، وهو السابق المقدم واستاذ ابي هلال ، والعسكري الأديب ، ويقصدون أبا هلال .

لم يعرف تاريخ ميلاد ابي هلال ، كما لم يعرف تاريخ وفاته بالضبط ، الا أنه كان حيا الى عام ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) ، كما يروي صاحب معجم الأدباء ، اذ قال في ترجمته : « أما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه ، وفرغنا من املاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » .

و « أبو هلال » هو ابن أخت أبي أحمد العسكري ، وان كانت بعض المصادر تروي صلة هذه القرابة بصيغة « قالوا » ، وهي لا تفيد الجزم . الا أنني شخصيا ميال الى الأخذ بها لما بين الرجلين من تشابه شديد في الميول والاتجاهات مما يدل على أن أبا أحمد قد حبى أبا هلال بالكثير من عطفه ، وان أبا هلال كان شديد التأثر بخاله ، فأخذ عنه الكثير من ميوله العلمية حتى لقد كان ذلك ، الى جانب تشابه الاسمين واللقبين ، مدعاة للخلط بين الرجلين .

وكما كان أبو أحمد العسكري عزوفا عن الاتصال بالسراة ، كما هو موقفه من « الصاحب بن عباد » ، الذي كان يستزيره فيأبى ويتعلل ، كان أبو هلال أيضا بعيدا عن مواطن الطمع والتكسب بعلمه وأدبه . ولكي تتوفر له الحياة الكريمة فقد اشتغل ببيع البز ، وان كان قد شعر بالمرارة لما آل اليه حاله من قلة ورثاثة ، مع اصالته في العلم والأدب والحجا ، وقد عبر عن هذه المرارة في أبيات من الشعر دلت على عمق استيائه :

اذا كان مالي مال من يلقط « العجم »
وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأي انتفاعي بالأصالة والحجى
وما ربحت كفي من العلم والحكم
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي
فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

أو يقول عن قومه وحاله بينهم :

ولا خير في قوم تذل كرامهم ... ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهمو عني رثاثة كسوتي ... هجاء قبيحا ما عليه مزيد

وقد طلب للأستاذ « خير الدين الزركلي » في كتابه « الأعلام » عند ايراد ترجمة ابي هلال ، ان يورد ما كتبه عنه « الباخرزي » في « دمية القصر » ، حينما استعرض أسماء لامعة في الأدب العربي ممن احترفوا الصناعة والتجارة ، كنصر بن أحمد الخبزرزي ، الذي كان يدحو الأرزية ، وأبو الفرج والوأواء الذي كان يسعى بالفواكه ويتغنى بها ، والسري الرفاء ، الذي كان يرفو الخرق .

وقد دلتنا الأبيات التي وردتنا عن أبي هلال على تأصل الموهبة الشعرية عنده . ولا غرو ، فأبو هلال شاعر ، له في الشعر ديوان ، الا أن الانصراف الى علم الأدب واللغة ، بل والفقه والتفسير والتأليف في كل ذلك صرفه عنه بعض الشيء . ومع هذا احتفظ شعره بالمسحة الفنية الأصيلة . فلنتأمله ينعي الشباب الذي ذهب ، ويهاب المشيب الذي أتى ، لأن أحدهما ذهب فلن يعود ، ولأن الآخر جاء ليقيم ، فلا يذهب الا مع صاحبه :

قد تخطاك شباب ... وتفشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضي ... ومضى ما لا يؤوب
فتأهب لسقام ... ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيدا ... انما الآتي قريب

وأما أشهر مؤلفات أبي هلال العسكري ، فكتاب « الصناعتين ، النظم والنثر » ، وهو كتاب مشهور جدا ، ويعتبر من كتب النقد في الأدب العربي القديم .

وله في الأدب أيضا « جمهرة الأمثال » وهو من كتبه المطبوعة ، و « شرح الحماسة » .

ومن مؤلفاته القيمة معجم مخطوط ، وكتاب « التلخيص » و « الفرق بين المعاني » و « ما تلحن فيه العامة » و « الفروق » و « ديوان المعاني » و « الحث على طلب العلم » و « الأوائل » . وقد قال صاحب « كشف الظنون » أن ابا هلال أول من صنف في الأوائل ، وعلى رسالته هذه بنى السيوطي كتابه « الوسائل الى معرفة الأوائل » .

وله أيضا « العمدة » و « المحاسن » وهو من كتب التفسير ، و « من احتكم من الخلفاء الى القضاة » و « التبصرة » و « التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم » و « أسماء بقايا الأشياء » و « المصون » وقد تولت اخراجه حكومة الكويت ، و « فضل العطاء على العسر » و « الدرهم والدينار » و « نوادر الواحد والجمع » .

وخلاصة القول أن أبا هلال العسكري ، كان أحد أعلام الأدب والنقد واللغة . وكان الى جوار ذلك فقيها ومفسرا وشاعرا ، وقلما تجتمع مثل هذه الصفات في شخص الى درجة الاتقان والجودة .

لحظة إشراق

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

خلت « أمينة » تحدق الى الشارع من خصاص النافذة ، وأمها العجوز العمياء متربعة على مقعد مستطيل في فسحة البيت ، تضم الى صدرها حفيدها « كمال » ، البالغ من العمر ست سنوات ، وتتحسس أعضاءه الغالية ، لتستطيع أن تقبض على احدى يديه الناعمتين ، وتطبع على أطراف أصابعهما الصغيرة قبلة . وكان « كمال » يداعب جدته ويروغ منها ، ويجذب يديه في خبث ، ثم يمدهما في هدوء ، ثم يسرع فيجذبهما ، وهو يضحك ويقهقه .

وضاقت « أمينة » ذرعا بضحكه المتواصل ، فالتفتت اليه وانتهرته . وأحست العجوز من مأتى الصوت أن ابنتها واقفة بقرب النافذة ، فانتفضت وتجهم وجهها ، وتخلت عن الطفل ، وهمت بالنهوض .

وعادت « أمينة » تحدق من خصاص النافذة متلهفة ، وقد عيل صبرها .

وفجأة نهضت العجوز العمياء ، ومدت ذراعيها الضامرتين ، ومشت الى حيث منطلق الصوت ، تجر قدميها في حذر .

ولما دنت من النافذة ، واستشعرت أمامها كيان ابنتها ، ألقت بنفسها توا عليها ، وأمسكت بها قائلة :

— اغلقي النافذة حالا .. آن لك أن تثوبي الى رشدك .. لن أسمح أبدا بأن تدخل تلك المرأة بيتنا ..

فصاحت أمينة :

— المرأة صديقتي ، والبيت بيتي ، وأنا حرة فيه .

فتولت العجوز رعدة وقالت :

— وأنت بهذا تدمرين بيتك ..

وتعثرت العجوز ، فأسرع اليها الصبي كمال ، واحتضنها في رفق ، واتجه بها على مهل صوب المقعد المستطيل ، فأخذته العجوز بين ذراعيها ، ومضت تتصعب ، وتتأوه ، مهتزة الرأس ، مرفوعة البصر ، كأنها تدعو الله بعينيها الثابتتين الخامدتين .

وعز على كمال أن يرى جدته تتألم على هذه الصورة . فتملص منها بغتة واندفع نحو أمه ، وصاح :

— حرام عليك . ان جدتي مسكينة ، وأنا أحبها أكثر منك .

وضرب الأرض بقدمه ، وأردف متحديا :

— سأقول كل شيء لوالدي . سأقول له ان الست « فتحية » تأتي الى هنا في غيبته .

وأسرع يحتمي بجدته العمياء . فلم تمهله أمينة ، وانقضت عليه ، وقالت وهي تهدر :

— اياك .. اياك أن تفتح فمك وتتكلم .

ثم صفعته . وشهق شهقة طويلة . فأرسلت الجدة صوتا ممزقا ، خيل معه الى أمينة أن ابنها قد اختنق . ولكنها لم تكد تبصره ، وقد فتح عينيه ، حتى انقلب سخطها الى فرح ، فضمته الى صدرها ، وقبلته ، وشرعت تمسح بيدها على شعره وتلاطفه .

وفتحت درج خزانتها ، وأخرجت علبة حلوى ، أعطته منها قطعتين ، ثم قطعة ثالثة . ولما أبرقت أساريره ، واطمأن اليها ، ونسي في لحظة كعادة الأطفال ، ما أصابه منها ، رددت أمينة في أذنه هامسة :

— لا تتكلم . اياك أن تتكلم .. اياك أن تقول شيئا لوالدك ..

فلم يحفل الصبي بها ، واستغرقه التهام قطع الحلوى ، وجعل يدور على عقبيه جذلان وهو يضحك . وتنفست أمينة مرتاحة ، وكرت راجعة الى النافذة . وقبل أن تصل اليها رن جرس الباب الخارجي ، فتهلل وجهها ، وقالت لأمها :

– انها الست فتحية قد أقبلت .. فاما أن تحسني استقبالها ، واما أن تسرعي بالانزواء في غرفتك . فقالت العجوز في حـــزم :

– لن أخـرج من هنـــا .

فهزت أمينة كتفيها غير مكترثة ، وهرولت لاستقبال صديقتها الوجيهة الأثيرة الحسناء .

ودخلت الست فتحية ترفل في ثوب حريري أزرق موشى بزهور بيضاء ، ورأسها الشامخ يتمايل كبرا وزهوا ، وشعرها الأسود المصفف يلمع فيه مشبك ذهبي ، وقرطاها الماسيان يشع منهما بريق ساطع ، وأساورها الذهبية تتألق وتخشخش في معصميها ، وهي تحتضن صديقتها العزيزة أمينة وتقبلها .

وتراجعت أمينة مبهورة ، وراعتها اناقـــة صديقتها وصاحت :

– أهـلا .. أهـلا .. ما أجملك اليوم يا فتحية وأشد اناقتك .

فابتسمت المرأة بعينيها الناعستين ، ومشت الى العجوز وهي تختال تيها وعجبا ، ثم أخذت يد العمياء في رفق ، وقالت :

– ليلتك سعيدة يا خالتي حسنية .. لعلك بخير ؟

ثم أرادت أن تبالغ في التودد والأدب ، فرفعت اليد وقبلتها في احترام . فانتفضـــت العمياء ، وازداد محياها الصلب تجهما ، فظلت الست فتحية ممسكة بيدها ، تستفسرها عن صحتها ، وتغرق في التلطف معها والاهتمام بهـــا .

ولما أيأسها منها جمودها الصارم ، هزت رأسها آسفة ، وهمت بأن تجذب يدها من يد العمياء . ولكن هذه تشبثت باليد فجأة ، وأبقتها في يدها . فاضطربت فتحية ، وحدقت اليها . فأدنت العجوز منها وجهها المتغضن العابس ، واستجمعت قواها ، وقالت ، وهي تحاول أن تلطف من حدة عباراتها جهدها :

– لقد كنت أول أمس هنا يا فتحية ، وبالأمس أيضا كنت هنا ، ولا ريب أن زياراتك المتعاقبة تشرفنا ، ولكنك تعلمين ، وأنت سيدة ذكية ، أن زوج ابنتي ..

فاحتقن وجه المرأة وقاطعتها قائلة :

– لا أفهمك . ان سالم أفندي لم يضق أبـــدا بزياراتي ، وهو دائم الترحيب بي .

فندت عن العجوز ضحكة ساخرة وقالت :

– ما كنت أظنك ساذجة الى هذا الحد .

فقالت الست فتحية ، وهي ترتجف :

– اذن فسالم أفندي يتبرم بمجيئي هنـــا ؟

فأجابت العجوز بصوت قاطع :

– نعـــم .

فاندفق الدم الى وجه فتحية ، واستدارت من فورها ، وهمت بالخروج . فأسرعت أمينة وتعلقت بها ، وصاحت في أمها مستنكرة :

– لست صاحبة الأمر والنهي في بيتي . ان فتحية صديقتي ، وهي امرأة شريفة ، وأنا لن أتخلى عن صداقتها .

فقالت العجوز :

– يجب أن تكف الست فتحية عن زيارتنا .

فازداد وجه المرأة احتقانا ، وكبر عليها أن تهان بمثل هذه الصورة ، فلم تنطق بكلمة واندفعت نحو الباب . فتبعتها أمينة وتعلقت بها . ولكن فتحية تملصت منها في عنف ، ومرقت الى الخارج شامخة مستعلية .

وعندئذ انفجرت أمينة غاضبة وطفقت تصيح :

– هذا كثير .. كثير جدا .. لم أعد أحتمل . واذا كان زوجي يظلم صديقتي ، ويحرم علي الاتصال بها ، فأنت تظلمينها مثله ، رغم علمك أنها شريفة ، وتظلمينني أنا أيضا . لا لن أمنع فتحية من دخول بيتي ، وسأستقبلها وفي غيبة زوجي ، وعليك أنت أن تصمتي .

وتحولت نحو ابنها وأردفت :

– وكذلك أنت اياك أن تتكلم ... اياك أن تقول أن فتحية كانت هنا .

فانكمش الصبي .

وأرسلت أمينة نفسا مستطيلا ، وخرجت تعد لزوجها طعام العشاء ، بينما كانت العجوز الكفيفة تهز رأسها متحسرة ، وتشيع ابنتها بعبارات ملؤها التحذير والانذار .

ودخل سالم أفندي متعبا منهوكا ، متقرح العينين من فرط الكتابة ومراجعة الحسابات ليلا في المتجر الكبير ، حيث يشتغل ، وارتمى على مقعد ، بعد أن ألقى بتحية المساء وطلب الى زوجته طعام العشاء .

فصفق الصبي كمال فرحا بمقدم والده ، ووثب اليه ، وطوق ساقه بذراعيه ، فحمله سالم أفندي ، وأجلسه على ركبته ، وقبله ، فابتسم كمال ، وقال في لهفة :

– ما الذي جئتني به يا بابا ؟ !

وضحك الوالد وقبل ابنه ثانية ، ثم غافله وتناول علبة كان قد أخفاها تحت المقعد ، وفتحها ، وأخرج منها طائرة صغيرة ما أن وضعها على الأرض حتى تحركت وأزت وجرت مسرعة ، كأنما هي توشك أن تطير . فبهت الصبي ولاحق اللعبة مهللا . ولكنها جمدت فجأة أمامه . فانحنى عليها وأخذها بيده ، وطفق يعالجها حتى عادت وانطلقت . فصفق منتصرا وصاح :

– انظر .. انظر يا بابا .. لقد عرفت سرها . انها تجري .. تجري .

وبغتة ، وفي غمرة فرحه ، وكأنما هو أراد أن يدخل السرور أيضا على قلب والده يطمئنه ، التفت اليه وقـــال :

– تعرف يا بابا .. لم يزرنا اليوم أحد .. لـــم يدخل بيتنا اليوم أحـــد .

فتطلع اليه سالم دهشا . وأجفلت العمياء ، وأشاحت بوجهها ، وارتجفت يد أمينة وكاد الطبق الكبير يسقط منها . فأجال سالم البصر حوله ، وملكته الوساوس وقال :

– من جاء اليوم لزيارتنا يا أم كمال ؟

فأجابت أمينة وهي ترتب المائدة :

– لم يدخل البيت انسان .

فتفرس الزوج في العمياء ، فألفاها جامدة كالصنم . فتحول الى ولده ، فرآه يخالس أمه البصر وينكمش ، فأثاره هذا السكون المريب وردد :

– من جاء اليوم لزيارتنا ؟

فصاحت أمينة محنقة :

– قلت لك لم يزرنا انسان .

فاستدار الزوج ورشق ابنه بنظرة ، فألفاه يحدق الى أمه ، ويزداد انكماشا . فأمسك به ، وقال وهو يهزه من ذراعه :

– من الذي جاء هنا يا كمال ؟

فذعر الصبي ، وطوى رأسه على صدره ، وتمتـــم :

– لا .. لا أحـــد ...

فحدجه سالم بنظرة ثاقبة ، وأردف :

– اذن هات الطيارة .

فدفع بها الصبي اليه وقال :

– خذها .. لا أريدهـــا ..

فارتجف سالم . وكبر عليه أن يشعر بعجزه عن معرفة حقيقة مريبة ، أحس أنهم يريدون اخفاءها عنه ، وأن ولده نفسه يتحداه ويتواطأ معهم على اخفائها . فاشتد انفعاله ، وبالرغم منه رفع كفه ولطم الصبي . فأجهش كمال بالبكاء ، وانخلع بدن العجوز ، وروعت أمينة واحتضنت ولدهـــا . ولكن زوجها عـــاد فأمسك به . فانتزعته منه . ودفعت به الى حجرة جدته ، وأرقدته على فراشه وهي تطيب خاطره ،



ثم كرت راجعة ، ووجهت زوجها متحدية مغامرة وصاحت :

— ضربت الطفل ليتكلم .. لن تضربه بعد الآن .. ها أنا أقول لك الحقيقة .. الست فتحية كانت هنا فامتقع وجه الرجل ، وقــال :

— ألم أحرم عليك أن تتصلي بها في الخارج أو تستقبليها هنــا ؟

فشمخت أمينة برأسها ، وقالت :

— وما ذنبي .. لقد جاءت من تلقاء نفسها ، فهل كان يجب عليّ أن أكون مجردة مــن اللياقة والأدب فأطردها ؟! لن أطردهــا .

فصــرخ :

بل يجب أن تطرديها . أهي من بيتنا ؟ أهي من وسطنا ؟ انها وان تكــن مستقيمة المسلك شريفة ، الا أنها امرأة أخطر من الخليعات المبتذلات أنفسهن . انها مفتونة بالمظاهر مجنونة بحب الجاه والترف ، لا وزن للمال عندها ، تبدده وفق مشتهياتها ، وتعتصر زوجها الثري اعتصارا دونما وازع من خلق أو ضمير . أنسيت ما أحدثه تأثيرها الوبيل في السيدة نعمات صديقتها ؟! لقد كانت السيدة نعمات زوجة رجل ثري أيضا ، فما زالت بها الست فتحية ، تزين لها الاغراق في التمتع بأسباب الترف حتى أنشبت نعمات في زوجها مخالبها ، واستنزفت ماله وساقته الى الخراب . وكذلك فعلت بصديقتيها فوزية ، والهام . فأية كارثة يمكن أن تجلبها تلك المرأة علينا اذا أمعنا في الاتصال بها وأصابتنا عدواها ، ونحن قوم نعيش من كدنا ونأكل خبزنا بعرق الجبين ؟! انا سنعجز ولا ريب عن مجاراتها ، وعندئذ نطلب العز والجاه بثمن غال . لهذا أردت أن تقطعي أنت كل صلة لك بها . أردت ذلك حرصا عليك وضنا بك وصونا لكرامتي ورجولتي . ولكنك عصيت أمري مرات ، واستقبلت تلك المرأة اليوم أيضا في غيبتي ، وكذبت عليّ ، ولوثت فوق ذلك نفس ولدي ، وعلمته الغش والنفاق . فأنا قد صبرت طويلا ، ولم يعد في مقدوري أن أظل صابرا ، وما دمت أنت متطلعة الى حياة البذخ التي ليس في وسعي أن أحققها لك ، ومتشبثة بتلك الصديقة الخطرة التي جعلت منها مثلا وقدوة ، والتي لا بد أن تخنق في نفسك كل احساس بالكرامة ، وقد تنحدر بك الى مهوة التبذل والضياع ، فتشبثي بها ما شئت ، واستدعيها كما يحلو لك . أليس هذا البيت بيتك ؟ وكل ما فيه ملك لك ؟ وقد ورثته عن والدك ؟ اذن فما أنا الا ضيف عندك .. رجل دخيل ، فامرحي في البيت منذ اليوم على هواك . أما أنا فلن أبقى هنا لحظة واحدة . وفي غد .. أتسمعين .. في غد ، أنقذك مني ومن فقري ، وأبعث اليك بورقة الطلاق ، ولــو تحملت في هذا السبيل حرقة البعد عن ولدي .

وأردف وعيناه تتقدان :

— تعالي .. وابحثي لي عن حقيبتي ، واجمعي فيها على الفور متاعي .

فتوقفت أمينة لحظة وارتعشت . أبصرت أمامها فراغا ، فراغا عميقا ، فراغا أسود مدلهما يقبل عليها ويكاد أن يجرفها ويطويها . ولكن كبرياءها كانت أقوى منها ، وأقوى من خوفها ، وأقوى من الكوارث والنكبات التي قد يخبئها المستقبل لها . فاندفعت الى المخدع وهي تهدر ، وتبعها سالم بخطى ثابتة عازمة .

وساد الغرفة صمت زافر ، وأحست العمياء أن الكارثة وشيكة الوقوع ، وأن البيت مهدد بالخراب ، وأن ابنتها الوحيدة ، ابنتها الطائشة الغريرة ، لا بد أن تستهدف غدا لشر ضروب المهانة والاذلال . فهلع قلبها ، وظلت تحدق الى الفضاء بعينيها الخاويتين ، وفكرها يتلهب ، وخيالها يضطرم ، وبدنها يرتجف . أرادت أن تفعل شيئا ، أن تقوم لفورها بأي شيء .

وفجأة ، وكما ينقشع الضباب وتشرق الشمس ، أشرقت روحها ، واستضاءت بصيرتها ، ولمعت في ذهنها المتألق فكرة .. فكرة بسيطة كانت آخر سهم في جعبتها . فلم تنتظر ولم تتمهل ، وعلى هدي قلبها وروحها وفكرتها ، انطلقت نحو الباب الخارجي للبيت ، ومشت اليه بخطى وئيدة نيرة ، وأحكمت اغلاقه بالمفتاح ، ثم انتزعت المفتاح ، وتحولت في لهفة وحذر ، ودخلت حجرتها النائية حيث يرقد حفيدها كمال . وبعد أن مكثت في الحجرة لحظة ، انسلت منها الى فسحة البيت . وعندئذ خرج سالم أفندي من مخدعه متبوعا بامرأته .. خرج وحقيبته في يده ، وسورة الغضب ما زالت تتأجج في عينيه ، واندفع اندفاعا الى باب البيت الخارجي ، كأنما هو يريد أن يستعجل الفرار ليتخلص . بيد أنه ما كاد يحرك مقبض الباب ويهزه ، حتى ألفى الباب موصدا ، فصاح يطلب المفتاح ، فدهشت أمينة ، ولبثت تحدق الى الباب المغلق واجمة حائرة . فعاد سالم أفندي ، وصرخ يطلب المفتاح ، ثم ذكر ولده ، وتنبه فجأة الى أن لم يره ، ولم يودعه . فوضع الحقيبة على الأرض ، وأسرع الى حجرة الطفل النائية . فأسرعت خلفه أمينة على الرغم منها . أسرعت متعثرة مختبلة ، لا تكاد تصدق أن كل شيء بينها وبين قرينها قد انتهى على هذه الصورة .. وفي لحظــات .

وما ان توسط الوالد حجرة الطفل ، وشخص الى فراشه المنزوي في أحد أركانها ، حتى ذهل وجمد . أبصر ابنه كمال ممددا على الفراش ، ونور المصباح منصبا عليه .. يغط في نومه ، ويضم بين يديه الصغيرتين مفتاح الباب .

فنظر الى امرأته مبهوتا ، ونظرت اليه . أراد أن يمد يده لينتزع المفتاح ، ولكنه لم يستطع . أما أمينة فتقدمت وأنعمت النظر في ابنها . وفي مثل لمح الطرف جاشت عواطفها ، وذاب حنقها ، واضمحل كبرياؤها ، وتحركت أمومتها ، وتفتح قلبها ، واستيقظ عقلها وضميرها . آمنت أن شيئا خفيا قاهرا قد ألهم ابنها الصغير الطاهر وأوحى اليه ما فعل ، فاختلجت ورفعت يديها ، وتركتهما تنسابان في رفق وتلمسان كتف زوجها ، وغمغمت :

— سالـــم ...

فانتفض الرجل ، وعيل صبره ، وانحنى على على الصبي النائم ، لينتزع من يديه المفتاح بقوة . بيد أن أمينة التصقت به ، وردت يده ، وقالت في صوت مليء خفيض ، وعيناها مثبتتان في عينيه :

— لأجل كمال ابننا الوحيد وأجلك أقسم لك أن الست فتحية لن تدخل بيتنا الى الأبد ، دع الولد في نومه ولا توقظــه .

فتطلع اليها الزوج ، فألفاها تنظر الى ابنها في وله ، وتنظر اليه هو بعينين كسيرتين زاخرتين بالرجاء والتوسل والنــدم .

فأطرق الرجل برأسه مرتبكا . فجذبته المرأة من ذراعه في هدوء ، ودفعت به الى فسحة البيت حيث كان الطعام ما زال معدا للعشاء . فرمقها بنظرة متفحصة ، وتردد لحظة . ولكنه وقد تأثر بصدق ندمها الماثل في عينيها ، لم يسعه الا أن ينساق اليها .. وهو يدمدم .

ولما جلس الواحد منهما الى المائدة تجاه الآخر ، أحست العجوز العمياء بفرحة لم تشعر بمثلها ، فأسرعت ودخلت حجرتها ، ودست نفسها في فراش الطفل ، ثم احتضنته في رفق ، وتحسست أعضاءه الغالية ، وجعلت تقبل يديه الصغيرتين المضمومتين على المفتاح .

نور القبس المختصر من المقتبس

تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني

اختصار: يوسف بن أحمد بن محمود اليغموري

تحقيق : رودلف زلهيم

عرض وتعليق : الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم

يبدي كثير من الباحثين اهتماما كبيرا بالكتب الأصيلة التي دوّنت طلائع العلوم ، وحوت المبادىء الأولى في الآداب والفنون ، مما ألفه العلماء وأعيان المصنفين وأودعوا فيه معارفهم عن طريق الرواية والتلقي ، أو المشافهة والمشاهدة ، أو مما حفظوه في حلقات الدروس ومجالس المناظرات ، أو وقع لهم من تجارب واحدثوه من آراء . انهم يرون في هذه الكتب المنابع الصافية والأساليب المشرقة الرصينة ، والأهداف الواضحة ، في غير حشو أو فضول ، ولهذا يتدافعون الى البحث عنها ، ويتنافسون في اقتنائها أو تحقيقها ونشرها . ويغمر قراء العربية والمشغوفين بثرائها الغبطة والبهجة حينما ينشر كتاب نادر ، أو يحقق مخطوط قديم .

وكانت تراجم الأدباء واللغويين والأخباريين والنسّابين وعلماء النحو من أهم ما عني به المصنفون القدماء ، فدوّنوا تاريخ حياتهم ، وحددوا أعمارهم ووفياتهم ، وأحصوا كتبهم وآثارهم ، وتتبعوهم في رحلاتهم ، وعاشوا معهم في أنديتهم ومجالسهم ، اذ كان منهم الذين وضعوا أصول النحو والصرف والرسم والاعجام ، ومنهم الذين رووا الأبيات السائرة ، والقصائد الرائعة ، وميّزوا الجيد من الزائف ، والصحيح من المنحول ، وبفضلهم حفظ على الأيام أسمى ما صدر عن القرائح ، وأفصح ما نضحت به أخيلة الشعراء .

ومن أوائل من صنف في هذا الشأن — على ما ذكره ياقوت وغيره — أبو العباس المبرّد ، وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، ومحمد ابن عبد الملك التاريخي ، وابن درستويه ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو الطيب اللغوي ، ومحمد بن الحسن الزبيدي ، وأبو البركات الانباري المعروف بالكمال ، وقد ضاع كثير من آثار هؤلاء ولم يسلم منها الا القليل .

ومن هؤلاء المصنفين الذين غنيت العربية بمؤلفاتهم ، وجالوا في شتى ميادين الآداب بأقلامهم أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني . وكان أبوه نائب خراسان ، فنبت في منزل نعمة ورفاهية ، وعاش في أزهى العصور الاسلامية وأخصبها ، ونشأ في بغداد حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، وملتقى العلماء والأدباء والشعراء ، ممن نزح اليها من مختلف الجهات ، ثم أخذ عن شيوخها وأفاضل رجالاتها . ولما استحصدت مرّته ، وارتفع شأوه ، لزم منزله ، فشدت اليه الرحال ، وقصد من أقصى البلدان ، ثم عزف عن مجالس الملوك والأمراء وذوي السلطان ، وانقطع للتأليف والتصنيف ، وصدر عنه من الكتب أنفس ما ألف في العربية ، وأحسنها تنسيقا ، وأوضحها تعبيرا . أحصى منها ابن النديم

أكثر من خمسين كتابا ، لم يصل الينا منها سوى كتاب الموشح فيما أخذه العلماء على الشعراء ، ومعجم الشعراء ، وقطعة مخطوطة من كتاب أخبار النساء مودعة في دار الكتب المصرية ، أما باقي كتبه فقد ذهبت بها عوادي الأيام .

ومن هـذه الكتب كتاب « المقتبس في أخبار النحويين واللغويين والأدباء والعلماء » ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء في معرض الكلام عما ألف في تراجم النحويين والأدباء فقال : « ثم صنف فيه أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني كتابا حفيلا كبيرا على عادته في تصانيفه ، الا أنه حشاه بما رووه ، وملأه بما وعوه ، فينبغي أن يسمّى مسند النحويين ، وقد وقفت على هذا الكتاب ، وهو تسعة عشر مجلدا ، ونقلت فوائده الى هذا الكتاب » : وقال القفطيّ في الانباه ، في معرض الثناء على المرزباني : « كان جميل التصانيف كثير المشايخ ، ممتع المحاضرة والمذاكرة ، مقدما في الدول وعند أهل العلم ، وهو وان لم يتخصص بعلمي النحو واللغة فقد ألف في أخبار جامعيها ومصنفيها والمتصدرين لافادتها كتابا كبيرا سماه المقتبس ، يقارب العشرين مجلدا ، وذكر في أثنائه من المسائل النحوية والألفاظ اللغوية ما يعد بـه من أكبر أهله » .

وكانت أمنية عزيزة عند الباحثين ، وأملا منشودا عند المهتمين بتراث العربية أن يقع لهم هذا الكتاب ، بعد أن قرأوا الموشح ، ومعجم الشعراء ، وراقهم ما فيهما من تناسق التبويب وانسجام التأليف مع عذوبة المورد وحسن الأداء .

وعلى امتداد الأمل ومضي الأزمان ظهر أن هناك ثلاثة كتب وردت شرعة هذا الكتاب ، واستقت من معينه ، أولها كتاب المختار من المقتبس ، جمع فيه مؤلفه أخبار طائفة من النحويين نقلها من كتاب المقتبس ، وأضاف اليها ما اختاره من كتاب الأوراق للصولي وكتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي وغيرهما ، ولم يعرف شيء عن مؤلف هذا المختار سوى اسمه المكتوب على صفحة العنوان : « محمد بن حسن ابن معالي » ، ومنه نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا بـ « استانبول » .

وثانيهما كتاب « المنتخب » للامام بشير بن حامد بن سليمان التبريزي ، أحد أعيان القرن السابع ، وكان معيدا بمدرسة نظام الملك في بغداد ، واطلع في خزانتها على كتاب المقتبس بخط مصنفه ، فرآه مليئا بالطرائف والنوادر وغرائب الأخبار ، ومنثور المسائل ومتنوع المعارف ، فكتب كتابه هذا على نهجه الا انه أثقله بالأسانيد وطرق الروايات ، فجرده مما لا فائدة فيه من هذه الأسانيد ، دون أن يخل بترجمة واحدة من تراجمه ، وسماه « شهاب القبس من المقتبس . »

وقد ضاع هذا الكتاب أيضا كما ضاع أصله ، ولكنه قبل أن يضيع أو يختفي ، وقع للعالم المؤرخ يوسف بن أحمد المشهور بالحافظ اليغموري المتوفى سنة ٦٧٣ هـ وكان ، كما يقول ابن تغري بردي ، أديبا فاضلا مشاركا في كثير من العلوم والفنون ، فنقل من كتاب المنتخب أحسن ما فيه مع المحافظة على ترتيب الكتاب ، وذكر جميع تراجمه ، وسماه نور القبس المختصر من المقتبس ، ومن هذا المختصر نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة « بمكتبة نور عثمانية باستانبول » .

ويدور هذا المختصر ، كما يدور أصله ، على مقدمة ، وثلاثة أبواب : مقدمة في الحث على طلب العلم وتقويم اللسان وابتداء أمر النحو ومن تكلم فيه . ويحوي الباب الأول ذكر ابتداء تخطيط البصرة ونزول المسلمين فيها ، وتراجم علمائها . ويشتمل الباب الثاني على ابتداء أمر الكوفة ونزول المسلمين فيها ثم ذكر علمائها . وكسّر الباب الثالث على أخبار مدينة السلام واختطاط أبي جعفر المنصور لها ، ثم ذكر علمائها ومن وفد اليها ، وذيّل الكتاب بفصل عقده لأخبار النسّابين : دغفل بن حنظلة ، وأبو ضمضم البكري ، والنخار العذري ، ووهب بن منبّه ، فتم لـه من ذلك ١٥٠ ترجمة ، تضمنت عصارة ما اشتملت عليه أخبار العلماء والأدباء والقراء في عواصم المشرق ، في القرون الأربعة الأولى ، من ابتداء وضع النحو في عصر أبي الأسود الدؤلي ، وجمع اللغة على عهد الخليل ، ورواية الشعر والأدب منذ أبي عمرو بن العلاء ، الى عصر المؤلف . ثم وشّاه بغرائب الأخبار ورائق الأشعار ، وشائق المساجلات ممّا تناقله الرواة ، وتسومع بـه في الأندية ، أو أثير في مجالس الخلفاء والأمراء ، الى ذكر المواليد والوفيات ، والاستطراد الى المسائل اللغوية والخلافات النحوية ، مالم يجتمع في كتاب .

وكانت قيمة هذا الكتاب عند العلماء والباحثين هي التي شحذت همة العالم الضليع الأستاذ « رودلف زلهم » ، أفضل من عرفناه من المستشرقين اطّلاعا على العربية وآدابها ، وأقدرهم على الكتابة فيها والتحدث بها ، ودعته لأن يعنى بتحقيقه ونشره ضمن ما تنشره جمعية المستشرقين الالمانية من نفائس التراث العربي ، مثل مقالات الاسلاميين للأشعري ، والوافي بالوفيات للصفدي والمقنع في القراءات لأبي عمرو الداني وغيرها .

وقد بذل الأستاذ المحقق أوسع الجهد في اعداد الأصول والرجوع الى دواوين الشعر وأمهات كتب اللغة والتاريخ ، مما ظهر أثره في

التعليقات والحواشي ، ووضع لنفسه طريقة منهجية سار عليها ، قال في مقدمته للكتاب :

« ولقد اعتمدت في تحقيق المختصر على المخطوطة الوحيدة ، وهي المرقمة في « نور عثمانية » برقم ٣٣٩١ ب ، وقد عارضت روايات المختصر بأشباهها من الروايات الواردة في الكتب الأخرى وصححت في الهامش أخطاء النص وهفواته ، ونبهت أيضا الى روايات المرزباني التي تختلف عن روايات الدواوين وغيرها ، وعارضت ذلك بنظائره ، ولم أنبه الى الروايات التي تفرد بها المرزباني ، الا اذا كان في التنبيه اليها فائدة لفهم النص أو التعرف الى اسناده ، أو أبراز لها وتمييز عن سواها من الروايات . أما خصائص الرسم وما شذّ منها عن المعتاد فقد صححتها دون الاشارة اليها في الهامش » .

ووطأ للكتاب بمقدمة مستوعبة واعية ، تحدث فيها عن المرزباني ومنزلته بين العلماء ، ووصف مخطوطتي المختار والمختصر ، وصفا دقيقا ، ووازن بين المقتبس والمختار والمنتخب والمختصر موازنة اتضحت بها معالم كلّ كتاب . وأوضح مذهبه في الشكل ، والرسم ، وطريقته في تنسيق الفقرات ، ووضع الفصلات ، ومنهجه في التعليق ، في أسلوب علمي واضح . ثم صنع له الفهارس العلمية التي عبّدت للباحث الطريق . وبكلّ هذا الجهد ، وما صحبه من صدق النية جاء الكتاب بهذه الطبعة الرائعة في أقرب صورة الى الكمال ، واستحق المحقق من قراء العربية أطيب الثناء وأكرم التقدير .

هذا ، وقد عن لي بعض الملاحظات فيما قرأت من الصفحات ، وهي — ان صحت — تكون أقرب الى الاستدراك والتعليق ، وأدنى الى المشاركة في التحقيق ، أذكر منها ما يأتي :

١ — ص ١٦ من المقدمة : « اخبرنا الخ ؟ الصالح » ويبدو أن الصواب : « أخبرنا الشيخ الصالح » ، ويحذف الاستفهام . وورد أيضا في هذه الصفحة « جلال الدين ابن ؟ اسحاق ابراهيم » والصواب : « جلال الدين أبو اسحاق ابراهيم » ، ويحذف الاستفهام أيضا ، ففي الغالب أن هذه الكنية في الأساليب العربية تكون لمن اسمه ابراهيم . وفي اول ص ١٧ من المقدمة ايضا : «ابن ؟ عمرو بن عثمان» والصواب : «ابو عمرو عثمان» .

٢ — ص ٤ — «فكتب : عن يزيد بن المهلّب الى الحجاج ، أنا لقينا العدو ففعلنا ، واضطررناهم الى عرعرة الجبل » ، وصواب العبارة : « من يزيد بن المهلّب الى الحجّاج : انا لقينا العدوّ ففعلنا وفعلنا واضطررناهم الى عرعرة الجبل » ، وتكرار كلمة « فعلنا » ضروري هنا لاستقامة المعنى .

٣ — ص ٧ — جاء العنوان في هذه الصفحة : « من أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل البصرة » ثم أورد تراجمهم الى ص ١٧٠ — وفي ص ١٧١ جاء هذا العنوان : « ابتداء أمر البصرة ونزول المسلمين فيها » ، والكلام عليه يتضمن مقدار صفحتين ونصف الصفحة من الكتاب ، أي مقدار ورقة من الأصل ، ولعل هذه الورقة أقحمت في المكان خطأ ، وموضعها المناسب قبل الكلام على علماء البصرة ، وذلك ليتفق مع ما أورده المؤلف من أمر الكوفة وبغداد .

٤ — ص ٢٢ — « ما دعاك الى نشر هذا ذكره ؟ » والصواب : « ما دعاك الى نشر هذا وذكره ؟ » .

٥ — ص ٢٦ — « وقد قرأ العظيم » ، ويبدو أنه قد سقطت كلمة القرآن » ، قبل كلمة « العظيم » .

٦ — ص ٥٠ — « وأخذ محمد بن بشير هذا المعنى فقال :

قـل لبغاة الآداب مـا وقعت منهـا اليكم فلا تضيعوها

وأورد بيتين بعده ، ولا يوجد شاعر بهذا الاسم ، والصواب أن اسمه « محمد بن يسير » ، وقد ورد اسمه محرفا في الأغاني في طبعتي بولاق والساسي ، وصوب في طبعة دار الكتب .

٧ — ص ٩٥ — ضبطت كلمة « المبرّد » بالراء المشددة المفتوحة في هذه الصفحة وفي كثير من الصفحات ، والقول الفصل في ضبط هذه الكلمة ما أورده ياقوت في معجم الأدباء قال : انما لقب بالمبرّد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام ، سأله عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : قم فأنت المبرّد ، بكسر الراء ، أي المثبت للحق . فحرفه الكوفيون ، وفتحوا الراء » .

٨ — ص ١٥٦ — « فاذا سألت عن أبيها قيل : انه رجلا صالحا » . ولعل الصواب « قيل : حسبك به رجلا صالحا » .

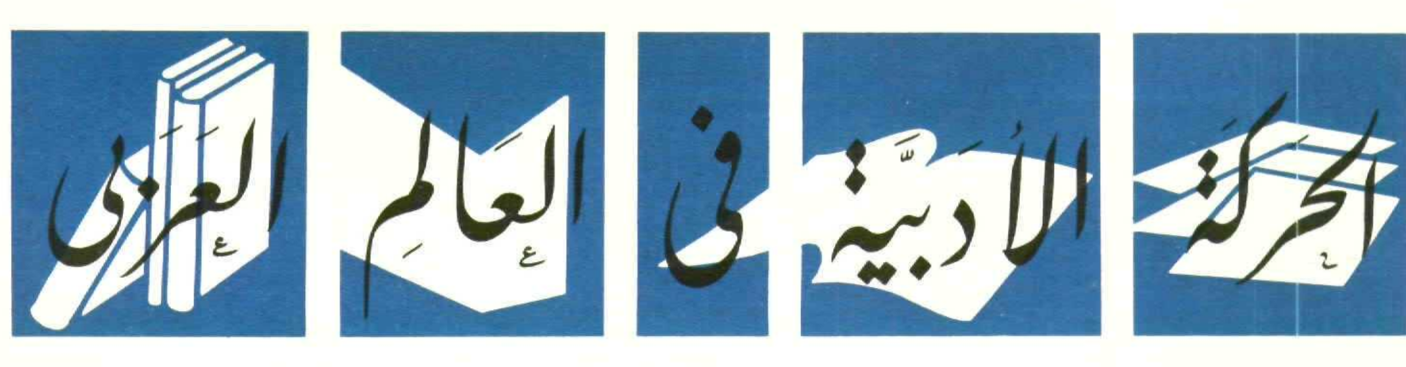
٩ — ص ٣١٢ — قال أحمد بن كامل : البحتري متهما بوضع الأحاديث ، والصواب : « متهم » .

١٠ — ص ٣٢١ — قال ابن حبيب« اذا قلت للرجل : أيش صناعتك ؟ فقال : معلم ، فاصفح وأنشد (بكسر الشين) .

ان المعلم لا يـزال معلـمـا لـو كان علم آدم الأسماء

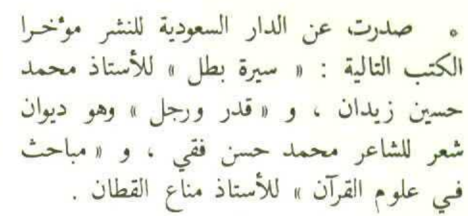
والصواب : « وأنشد » بفتح الشين ، كما هو معروف في مثل تلك الأساليب .

وبعد ، فان هذه الملاحظات وأشباهها لا تعدو بأن تكون — كما قلت — من باب الاستدراك واكمال التحقيق ، وهي لا تحول دون القول الصريح : ان هذا الكتاب قد حقق على المنهج العلمي المستقيم ، وان الاستاذ المحقق قد أسدى الى العربية بنشر هذا الكتاب خيرا كثيرا .







٭ صدرت، عن الدار السعودية للنشر مؤخرا الكتب التالية : « سيرة بطل » للأستاذ محمد حسين زيدان ، و « قدر ورجل » وهو ديوان شعر للشاعر محمد حسن فقي ، و « مباحث في علوم القرآن » للأستاذ مناع القطان .

٭ ما زالت المعاجم والموسوعات ، على ضخامة ما تقتضيه من جهد ، ووفرة ما تتطلبه من معارف بغية الباحثين ووكدهم في الأمصار العربية المختلفة . ففي سورية صدر « معجم المصطلحات الأثرية بالافرنسية والعربية » وهو من تصنيف الأمير يحيى الشهابي وتقديم الأمير جعفر الحسني ، وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق . وهو يقع في أكثر من ٤٥٠ صفحة ، وازدان بطائفة كبيرة من الصور والرسوم التوضيحية .

٭ من الدراسات الأدبية الأخرى التي صدرت أخيرا « مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق » لديفيد دينشس وترجمة الدكتور محمد يوسف نجم ، و « دراسات تمهيدية في الرواية الانجليزية المعاصرة » للأستاذ رمسيس عوض ، و « ماذا أضافوا الى ضمير العصر » للأستاذ غالي شكري ، و « نقد — دراسة وتطبيق » للدكتور أحمد كمال زكي ، و « قصة الدراما الهندية » للأستاذ محمد فكري مراد .

٭ ظهر للمؤرخ الأستاذ محمود الشرقاوي كتاب كبير عنوانه « رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين والأندلس وافريقيا » رافق فيه هذا الرحالة الكبير في جميع الأماكن التي قصدها . والكتاب يتضمن سيرة الرحالة وخصائصه الشخصية والأسلوبية وكذلك طرائف متعلقة به .

٭ في باب السير والتراجم ظهرت هذه الطائفة من المؤلفات منه « الامام علي » للأديب الأردني الأستاذ روكس بن زائد العزيزي ، و « سجع الحمام في حكم الامام » وهو أقوال الامام علي التي جرت مجرى الحكمة ، وقد صنفه الأساتذة علي الجندي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد يوسف المحجوب . وصدرت سبعة أجزاء من السيرة النبوية » محمد رسول الله والذين معه » وقد رواها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ، و « حسان بن ثابت » للدكتور محمد طاهر درويش ، و « كثير عزة — حياته وشعره » للأستاذ أحمد الربيعي ، و « لدفيج فتجنشتين » الفيلسوف النمسوي المعاصر للدكتور عزمي اسلام .

٭ صدر للأستاذ أنور الجندي كتاب جديد موضوعه « تطور الصحافة العربية في مصر » تناول فيه بالتأريخ والتقويم الحركة الصحفية في مصر منذ نشأتها ، وعرف بأعلام رجال الصحافة وكذلك بالمنسيين المجهولين منهم .

٭ من الدواوين الشعرية الجديدة صدرت مؤخرا هذه المجموعة « زوارق العبير » للأستاذ مصطفى الجوزو ، و « وهج الشباب » للأستاذ ابراهيم خليل العلاف ، و « أغان على الدرب » للأستاذ محمد مصطفى الرزاق ، و « النور من الداخل » للأستاذ محمد الفايز ، و « براعم الربيع » للأستاذ محمد علي اسماعيل .

٭ نشرت دار اليمامة في الرياض كتابي « نبذة تاريخية عن نجد » أملاها الأمير ضاري ابن فهد الرشيد ، ويليها مقتطفات من القول السديد في أخبار امارة الرشيد ، من تأليف سليمان بن صالح الدخيل ، و « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان » تأليف ابراهيم ابن صالح بن عيسى وأشرف على طبعه الأستاذ الكبير حمد الجاسر .

٭ من الكتب التي تبحث في شؤون التربية ظهرت هذه المجموعة « التعليم المبرمج اليوم وغدا » لولبر شرام وترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج ومراجعة الأستاذ محمد سليمان شعيلان وتقديم الأستاذ محمد السيد روحة ، و « مرشد المدرس » للدكتورين عبد اللطيف فؤاد ومحمد ابراهيم كاظم ، و « سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة » للدكتورين يوسف محمود الشيخ وعبد السلام عبد الغفار ، و « أسس القياس النفسي الاجتماعي » للدكتور سعد عبد الرحمن .

٭ ترجم الأستاذ محمد أديب العامري كتابا طريفا عنوانه « الحياة والشباب » يرشد الى العناية بالصحة وأثرها في تجديد الحيوية ، وهو من تأليف اريك تريمر . وفي الوقت عينه ظهرت ترجمة لكتاب « ايمان طبيب » من تأليف الدكتور تورنييه وترجمة الدكتور عزت زكي ، وهو يتناول تأثير القيم الأخلاقية والتربية الروحية في الصحة البدنية والنفسية .

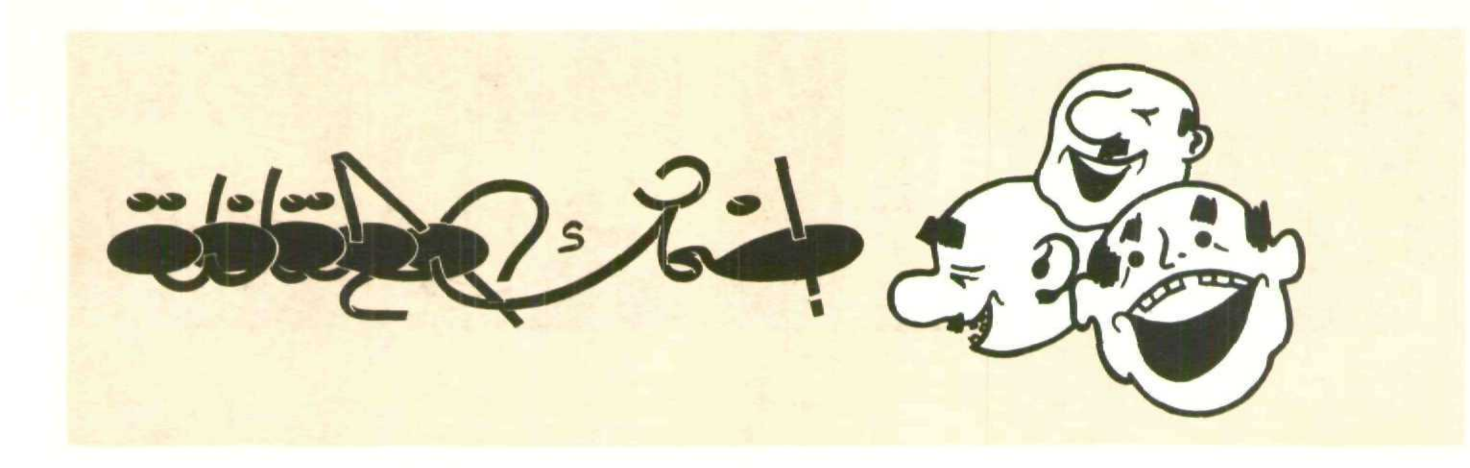
٭ في الرواية بفنونها صدرت مجموعة من الكتب منها مجموعات أقاصيص مثل « الأيام الخضراء » للأستاذ ثروت أباظة ، و « حكايات من بلدتنا » للدكتور شاكر خصباك ، و « غناء العناكب » وقد ترجمها عن الأدب الألماني الأساتذة مصطفى ماهر وفؤاد رفقة ومجدي يوسف ، و « من فم رجل » للسيدة هالة الحفناوي .

٭ شرع الأستاذ مصطفى السقا في اصدار كتاب « الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ، وقد ظهر منه جزؤه الأول وهو تفسير جزء « عم » .

٭ وفي العقيدة صدر للمرحوم الأستاذ محمد كامل عبد الرحيم كتاب « شفاء للقلوب » وفيه دروس أخلاقية مستمدة من الدين ، كما صدر للشيخ محمد الغزالي كتاب « ركائز الايمان » .

٭ من الكتب العلمية الحديثة صدرت هذه الطائفة « تكنولوجيا البلاستك » للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ، و « قراء الرسوم الهندسية » للأستاذ محمد كمال الطيب ، و « العلم والحضارة » للدكتور عبد العظيم أنيس ، و « التغذية ومخاطر الصناعة » للدكتور أسامة أمين العطار .

٭ صدر مؤخرا العدد الثاني من مجلة « كلية التربية » بمكة المكرمة ، وهي مجلة ثقافية تربوية تصدرها وزارة المعارف السعودية .



شطارة أطفال

اكتشف معلم أن أحد الطلاب في الصف الابتدائي وضع كتلة من الطين في جيب معطف معلق على الحائط ، فطلب ممن عمل ذلك أن يميز نفسه ، ولكن أحداً لم يتفوّه بكلمة . فقال المعلم : « سنغلق أعيننا لمدة دقيقة واحدة ، وعلى من وضع كتلة الطين أن يخرج من الصف . » وبعد أن أغمضوا أعينهم وفتحوها ، لم يخرج أحد .. بل وجد المعلم كتلة طين أخرى بجانب الأولى.

غيرة كلب

دعا شاب صديقا له الى العشاء . وأثناء الأكل كان كلب العائلة ينهش رجلي الصديق من تحت الطاولة . ولم يرد الصديق أن يلفت انتباه أحد الى ذلك ، بل كان يرفس برجليه ليطرد الكلب . وأخيرا لم يعد يحتمل ذلك فقال : « ان الكلب أوشك أن يدمي رجلي . » فأجاب صبي كان يجلس على الطاولة : « انه غيور منك لا غير ، لأنك تأكل في صحنه ! »

السمك والأخلاق !

جلس ولدان أمام طبق فيه سمكتان ، أحداهما صغيرة والأخرى كبيرة ، فتناول الأول السمكة الكبيرة ، وشرع يأكلها . فنظر الثاني اليه ، وقال : « ما هذه الأخلاق العالية ؟ لو كنت مكانك لأخذت السمكة الصغيرة . » فقال الأول : « ها هي أمامك ، فخذها ! »

بالأكل ليقوى على تخفيف وزنه !

وجد رجل صديقه في مطعم وأمامه أطباق عديدة بأصناف الطعام ، فقال له : « كنت أحسبك ، كما قلت ، تنفذ مشروع تخفيف وزنك ، فماذا جرى ؟ »

فقال الصديق : « هذا صحيح ، وأنا آكل كل هذا الطعام لأقوى على تنفيذ المشروع . »

موضوع انشاء

طلب المعلم من طلاب الصف أن يكتبوا موضوعا انشائيا عن عائلة فقيرة . وكان بينهم طالب ثري ، فكتب : « عاشت في قديم الزمان أسرة فقيرة . فكان ربّ الأسرة فقيرا ، وكانت زوجته فقيرة ، كما كان الأطفال فقراء ، وكان سائق سيارتهما فقيرا ، وكانت الخادمة فقيرة ، أما البستاني فكان أفقرهم جميعا ، وكل من له علاقة بهذه الأسرة كان فقيرا ! »

منطق العصر

قال رجل لجاره : « لقد اشتريت سيارة لابني لكي لا يتأخر عن المدرسة » . فعجب الجار ، وقال : « كيف يكون ذلك ؟ انه سيتأخر الآن أكثر من ذي قبل ، لأنه سيعتمد على السيارة وينام ، ظانا أن وقته كاف ! فأوضح الرجل : « كلا ، فيضطر الى النهوض باكرا لكي يصل الى المدرسة قبل غيره ويجد مكانا لايقاف السيارة ، والا فانه لن يجد . »

ما هو الشيء ؟

قالت الزوجة لصديقتها : « اني وزوجي نحب الشيء نفسه ، ما عدا انه يحب أن يوفر هذا الشيء وأحب أنا أن أصرفه . »

اذا عرف السبب بطل العجب

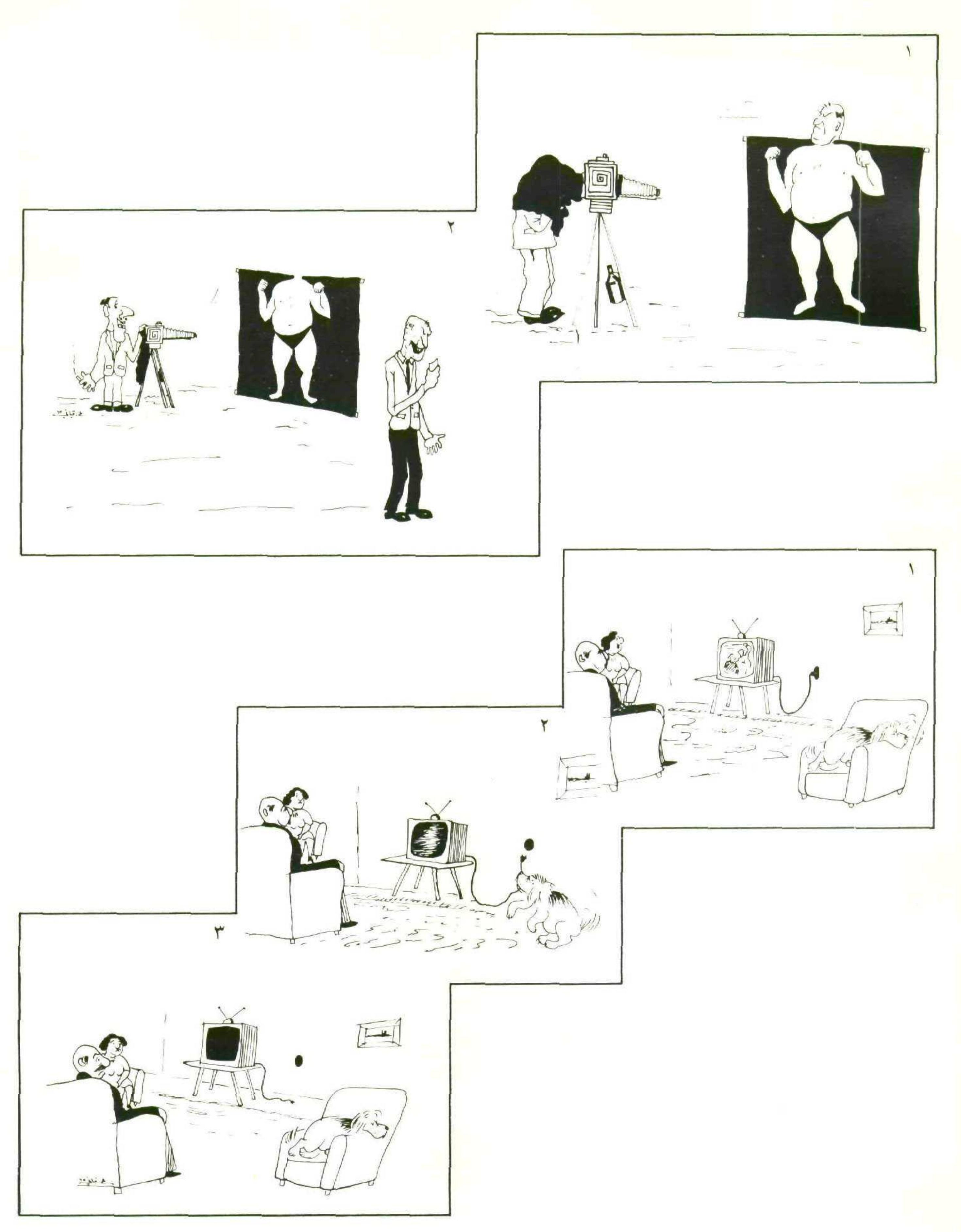
تلاقى صديقان في الشارع في يوم برده قارس ، وكان أحدهما يرتدي ملابس صوفية ، أما الثاني فاكتفى بقميص خفيف . فقال الأول للثاني : « كيف تخرج من البيت بلباس خفيف مثل هذا ؟ الا تتجمد من البرد؟ » فقال الثاني : « لا أشعر ببرد مطلقا » .

الأول : « غريب ! »

الثاني : « دعني أوضح لك الأمر . لقد اشترت زوجتي معطفا من الفرو ، وكلما أتذكر ثمنه يتصبب عرقي . »

ما تعمل اللغة ؟!

وصل رجل الى بلد هو غريب عنه ، وذهب توا الى الفندق . وبعد قليل جاءه مدير الفندق ، وقال : ان السلطات تريدك أن تملأ طلبا باسمك وعنوانك . فقال الرجل : ان اسمي على كل حقيبة من حقائبي ، وعنواني أنتم تعرفونه . فاعفوني من هذا العمل ، لأني في أقصى حالات التعب . وبعد قليل عاد المدير وسلمه الطلب لكي يوقع عليه ، فوجد في خانة الاسم مكتوبا : « السيد جلد ممتاز مكفول » .


١
٢
١
٢
٣



إحدى السيارات الخاصة التي تستخدمها أرامكو حاليا في أعمال التنقيب عن الزيت في الربع الخالي.